لويز هاي و لين لوبير

مكتبة 523

تلوين المستقبل

رواية أشبه بالخيال

ترجمة علي الحداد

دار الخيال

مكتبة | 523

تلوين المستقبل
t.me/t_pdf

Painting the Future

تلوين المستقبل

لويز ل. هاي وَ لين لوبير

ترجمة د. علي الحداد

Painting the Futture
Copyright © 2012 by Louise L. Hay

حقوق الترجمة العربية محفوظة للناشر ©

مكتبة
t.me/t_pdf

٢٠١٩ ١١ ٢

دار الخيال
DAR AL KHAYAL

رأس بيروت المنارة شارع الكويت
بناية يعقوبيان بلوك B طابق 3
بيروت لبنان تلفاكس: 009611740110
الرمز البريدي: 2036 6308
Email: alkhayal@inco.com.lb
www.daralkhayal.com

التنفيذ الفني: دار الخيال

الطبعة الأولى: 2018

ISBN: 978-9953-65-004-3

لويز ل. هاي وَ لين لوبير

مكتبة | 523

تلوين المستقبل

رواية أشبه بالخيال

ترجمة د. علي الحداد

دار الخيال
DAR AL KHAYAL

الفصل الأول

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

إنها قصة الحب والأمل، قصة إثنين غرباء، أنقذ أحدهما الآخر، على ما بدا، وكأنه في اللحظة الأكثر حراجةً.

***

إنه صباح يوم آخرَ من أيام تموز الحارة، في إحدى أحياء ضواحي سان فرانسيسكو، حيث بدا أن كل ما هو أخضر وجميل قد اختفى. أشجار الكستناء والصفصاف ومساكب النعناع صارت من ذكريات الماضي، والمروج الخضراء تحولت إلى مساحاتٍ إسفلتية سوداء بلون عرق السوس.

تزحْلُق لوب على المزلاجة في فناء الشقة، بدا إستثنائيًّا لها. كل شيءٍ كان جديدًا. إنها في الحادية عشرة من عمرها، تمتلك جسدًا يتحرّك بمرونة، مع شعرٍ أسودَ طويلٍ يتدلى على كتفيها على شاكلة ذنب حصان، جمالها أخّاذٌ، تبدو وكانها أكبر سنًّا

من عمرها الحقيقي، لها نظرةٌ تشبه نظرات قديسة في إحدى جداريات إيطاليا.

عندما تبتسم ، يكشف وجهها عن غمّازة تزيد جمالها جمالاً. رغم صغر سنّها فهي فتاة بكل معنى الكَلمة.

كانت تقوم بحركاتٍ دائرية وسط فناء البناية وتغني بصوت منخفضٍ «الحب يجعلني أشعر بأنني في أفضل الحالات. إنه تعبيرٌ عن فرحتي الداخلية».

توقفتْ عن اللعب، لتنظر بإعجابٍ إلى بضعة زهرات تتأرجح مع هبوب بضعة نسمات، على سياجٍ حديديٍ، تغطّيه زهورٌ بلون زهر المشمش.

نظرتْ، إلى نافذة شقة في الطابق الثاني، حيث بان وجه امرأةٍ مسنّةٍ، فيه الكثير من التجاعيد العميقة.

«أنظري يا جدّتي».

«نعم... نعم. إحترسي من الأشواك يا صغيرتي» قالت المرأة العجوز، لكن كلماتها إختلطت مع أصوات موسيقى السالسا الآتية من الشقة.

لم تكترث لوب لكلام المرأة المسنّة، بل تابعت تركيز نظرها على ما حولها من جمال.

تصُرف لوب هذا، لم يزعج جوانا سولدانا، التي كانت

مهتمة بتعليم حفيدتها أمرًا أساسيًا هو كيف ننجو جميعًا، وكيف نستمرُّ في الحياة.

عادت الجدّة إلى داخل الشقة في الطابق الثاني، حيث الكثير من الصناديق، والأصوات المزعجة. إنها شقة قديمة، كل ما فيها قديمٌ وبالٍ ورثٌّ، حتى السجاد. رجلٌ عجوزٌ يتجوّل بصمت، يأخذ نبتةً مزروعةً في وعاءٍ كبيرٍ يضعها في غرفة الجلوس ثم يعود إلى مكانه.

سرعان ما اندمجت أصوات الطرطقة داخل الشقة بصوت طنين هاتف الإتصال الداخلي في الشقة المجاورة رقم 206.

رجلٌ يصرخ بصوتٍ أجشٍّ «أسمعك... أسمعك» وهو يضغط على زر هاتف الإتصال الداخلي.

انفتح الباب الدوار، وإذ برجلٍ عابس الوجه طويل القامة، في الخمسينات من العمر. إنه جوناثان لانغلي. أخذ الشيب يغزو شعره، فاختلط سواده ببياضه. بدا مميزًا وخليعًا في آن وكأنه أميرٌ قست عليه ظروف الحياة. نحيل الوجه، وجنتان نافرتان، وشفتان رقيتان. كان يرتدي قميصًا من كتّان باهظ الثمن، ملطخةً بعصير البندورة، ويلبس نظاراتٍ سوداء. وفي يده اليمنى حفنة من الدولارات.

أطلّ برأسه من النافذة على الفناء وهو يصرخ «أين أنت... أين أنت».

«أنا هنا أناديك عبر جهاز الإتصال الداخلي» أجاب الرجل المكلّف بإيصال طلبات الزبائن.

رنين جهاز الإتصال الداخلي ما يزال متواصلاً.

«إني أناديك عبر جهاز الإتصال الداخلي، ردَّ عليّ بحق الله. لقد جئتك بما طلبت».

إنفجر جوناثان غاضبًا. إنه يتصرّف بغرابة هذا الأسبوع، كل شيءٍ يثير غضبه، فجَّرَ غضبه بوجه قارىء عداد المياه، ورجل توصيل المأكولات الصينية وحتى بوجه الحلاق الذي تعوّد أن يقصّ له شعره مرة كل شهر. لماذا؟ إنه منزعجٌ جدًّا من اضطراره للبقاء في المنزل والإعتماد على الآخرين.

«هاي، إني أناديك عبر جهاز الإتصال الداخلي، فافتح الباب إن كنت تسمعني، لديّ شيءٌ لك» كان رجل التسليم يصيح. وارتفع صوته أكثر وهو يلعن الساعة التي هو فيها. وأخيرًا تمكّن من فتح الباب والدخول.

توقفت لوب عن التزحلق، وراحت تراقب جوناثان وهو يطلّ برأسه من النافذة من حين لآخر والغضب بادٍ على حركاته.

أصوات القرقعة الآتية من الشقة المجاورة، صارت أقوى من ذي قبل.

«أيمكنك إيقاف هذا الضجيج؟». صاح جوناثان وهو يُسقط بعض الدراهم من بين يديه على الأرض. «لعنة الله عليك» قال وهو ينحني على ركبتيه.

وأخيرًا وصل رجل التسليم، فوجد لانغلي جاثيًا على ركبتيه يبحث عن المال الذي سقط من بين يديه.

«إني جلبت طردًا لك سيد لانغلي».

«شكرًا جزيلاً لك. أعرف إسمي جيّدًا، وأعرف من أنا». قال السيد لانغلي وهو منبطحٌ على الأرض، بحثًا عن الدولارات التي وقعت من يده. وبعد معاناة إنتصب، وسلّم المال لرجل التسليم وهو يقول: «ها هي. إنها بالضبط».

في الأسفل كانت أصوات التزحلق قد اختفت. دخلت لوب ووقفت عند أسفل الدرج، وهي تنظر إلى الأعلى.

«لا مجال للتزحلق في البناية» صاح السيد لانغلي. «إذهبي وتزحلقي في الشارع. لماذا لا تفعلين ذلك؟ إنها أكثر خطورة أليس كذلك؟».

وضع رجل التسليم المال في جيبه، ثم دخل الشقة. ألقى نظرة على وجه السيد لانغلي فاندهش «آه اللعنة عليَّ. لم أنتبه أنك ضريرٌ يا سيدي».

عبس السيد لانغلي واستدار وهو يقول: «ضع هذه الحزمة على الطاولة وخذ الأخرى، إنها معدّةٌ للإرسال. كن حذرًا».

«حسنًا... أعرف ما هي وظيفتي».

«هذا ليس حوارًا لائقًا»، قال لانغلي وهو يبتعد.

استدار رجل التسليم وهو يحمل الرزمة الأخرى، ويهمّ بالخروج.

أخذ رجل التسليم يهبط السلم، وقبل خروجه من الباب الخارجيّ للبناية إلتقى «لوب». نظر إليها نظرة غضبٍ وصداقةٍ في آن.

«هذا ليس رجلاً. إنه متوحّش».

«إنه منزعج».

«أتعرفينه؟».

«لا» قالت لوب مترددة. «ليس بعد».

***

لوب كانت تعيش مع جدّيها، لكنها تفكر من حينٍ لآخر بأبويها اللذين اضطرّا للعودة إلى المكسيك. في السنة الماضية، كلاهما فقد عمله في الولايات المتحدة. والدها كان يعمل في مجال البناء، ووالدتها كمدبرة منزل في دارٍ لرعاية المسنين. وبما أنهما مهاجران غير شرعيين، فلا يحق لهما الحصول على المساعدة الإجتماعية المخصصة للعاطلين عن العمل، حاولا شتّى الطرق والوسائل للحصول على عمل آخر، لكنهما لم يتمكنا من ذلك.

كانت لوب، تلاحظ أنهما ينتحيان جانبًا، بعد عودتهما إلى المنزل مساءً، يتحدثان بصوت خافت، وكانت تراهما، يخبئان ما يجنيان من دولارات في دُرج والدتها. كما لاحظت أن علامات التعب النفسي كانت بادية على وجه والدها، وأن والدتها صارت تبتدع طرقًا جديدةً لإعداد الطعام من الأرز والفاصوليا كل ليلة.

خلال الأشهر الأخيرة، وبعد فقدانهما العمل، كان على الأسرة أن تتخذ قرارًا صعبًا: من سيعود إلى المكسيك، ومن سيبقى في أمريكا. وفي نهاية المطاف، تقرّر أن تبقى لوب برعاية جدّيها ويعود الوالدان. بحسرةٍ، تتذكر لوب حديث والدتها لها في غرفة الجلوس.

«أبوك وأنا سنعود إلى المكسيك. إنه الحلُّ الأنسب لنا في مثل هذه الظروف».

وعندما بكت لوب، أخذتها والدتها بين ذراعيها، وراحت تقبّلها بحنانٍ وتقول: «هذا لن يكون فراقًا أبديًا يا عزيزتي». وتابعت وهي تحبس دموعها «إنه الخيار الأفضل في الوقت الحاضر. أتفهمين ذلك؟».

الحقيقة، رغم الضرورات المالية التي أوجبت إتخاذ هذا القرار، لكن تقبّله لم يكن بالأمر السهل.

لوب الآن تفتقد جلوس والدها إلى جانبها وهي تراجع دروس التاريخ، ومساعدته لها في مادة الرياضيات. كذلك

تفتقد ضحكات والدتها عند الصباح، وتلك الإبتسامات المشرقة التي لا تفارق شفتيها على مدار اليوم. ليس هذا وحسب، بل هي اليوم تتذكر أكسوشيابان، القرية المكسيكية التي فيها ولدت وعاشت بعضًا من طفولتها، إنها قرية زراعية جميلة يعاني سكانها من الفقر المدقع. نادرًا ما كانت تتذكرها، يوم كانت تعيش مع والديها، أما اليوم، وبعد فراقهما، فهي تحلم كثيرًا بتلك القرية، بحقول زهور الجهنمية قرب البحيرة، والشعور بالدفء الذي كانت تشعر به، عندما يجتمع الجيران في الفناء الخلفي عند نهاية اليوم. إنها تتذكر صديقتها ماريا التي طالما لعبت معها، وكانت لوب تلعب دائمًا دور المعلمة أو الممرضة، فيما ماريا تلعب دور التلميذ أو المريض. معًا كانتا تحلمان بالحصول على وظيفة محترمة، عندما تكبران، على عكس ما هي حال والدتيهما. كانتا تحلمان بالذهاب إلى الجامعة، وأن تركب كل واحدة منهما درّاجتها الهوائية الخاصة، والذهاب إلى محلات البقالة بمفردهما واختيار ما ترغبان.

تتمنى لوب لو بمقدورها زيارة والديها وأصدقائها. لكن الجدة كانت دائمًا وأبدًا ترى ذلك غير ممكن، ليس هناك ما يكفي من المال، بالإضافة، ماذا لو لم يُسمح لهما بالعودة؟

كثيرًا ما كانت جدّتها تردد على مسمعها، الحياة ليست سعادةً دائمة، لكن لوب، لم تكن ترغب بتذكُّر هذا الكلام.

كانت لوب تحبُّ جدّها، مع وجهه المرهق، ونظراته الحائرة، ومشيته البطيئة. كان راوول سولدانا، رجلاً قويًا، يعمل في بناء المنازل وقطع الأشجار. لوب لا تتذكّر تلك الأيام - أي قبل إصابة جدها بانتفاخ الرئة وأمراض القلب التي استنزفت كل قواه - ولكن صورًا كثيرةً ما تزال موجودةً، تثبت ذلك. كما تُظهر كم كانت جدتها جميلةً، عيناها ساحرتان وتضع زهرة الكاميليا في شعرها. كما تُظهِر تلك الصور جدها وهو يرتدي ثيابًا أنيقةً مع قبعةٍ وقميصًا مطرّز الأكمام، وجدتها ترتدي الفساتين الفاخرة مع تنورة واسعة وكشاكش تغطّي الصدر. كانا يبدوان وكأنهما الأكثر حيوية في العالم، وكأنهما يتمتعان بشباب دائم. بالنسبة إلى لوب، عاش جدّاها جنبًا إلى جنبٍ مع بقيةٍ أفرادً القرية من أعمارهم أو من هم أكبر منهم سنًّا.

الفصل الثاني

حين شعر السيد جوناثان بتنسيم الريح، أدرك أن رجل التسليم لم يغلق باب الشقة جيّدًا، فأخذ يتلمس طريقه إليه لإغلاقه، فاشتم رائحة عطر ما بعد الحلاقة تشبه رائحة الليمون الحامض، مما يدلّ على وجود السيد أنتونوتشي، مالك البناية.

بعد إصابته بالعمى، إكتشف السيد جوناثان، أن لكلِّ شخص رائحةً خاصةً، تميزه عن غيره وكأنها الهالة، وراح يربط ذهنيًا بين الأشخاص والألوان. فالسيد أنتونوتشي ليس له رائحة الحمضيات وحسب، إنما له لون سحابة وردية.

«ما هذه الضجة في الشقة المجاورة؟».

«مرحبًا سيد لانغلي». قال السيد أنتونوتشي بصوتٍ يعبّر عن الإمتعاض.

«ها انا أضع درابزين عند حافة الدرج».

«وما الحاجة إليه هنا؟».. قال السيد جوناثان.

«الدرابزين القديم سقط الشهر الماضي، واليوم هناك زوجان مسنّان إستأجرا الشقة المجاورة. إنهما سالداناس. إنهما مسنّان، لذلك فهما بحاجة للإتكاء على حافة الدرج».

«لكنك ستكبر يومًا ما، يا سيد لانغلي». قال السيد أنتونوتشي وهو ينظر إليه.

تمتم جوناثان قائلاً «أشك في ذلك».

«لقد استأجرا لأشهرٍ قليلة، أحدهما يتلقّى علاجًا في المستشفى المقابل لهذه البناية. أعني أنه قريبٌ من هنا».

«إنه لأمرٌ مؤسفٌ» قال السيد لانغلي وتابع، «أبلغهما أنهما سيلقيان الترحيب».

«حاولْ، أن تكون ودودًا معهما».

رجلٌ عجوز، ببطء يجرُّ عربة الأوكسيجين، من غرفة النوم، متّجهًا نحو غرفةِ الإستقبال.

«صباح الخير سيد سالدانا» قال السيد أنتونوتشي.

«عمت صباحًا» وانتابت العجوز نوبة سعالٍ طويلةٌ. وخلفه كانت تصدح موسيقى السالسا.

هزَّ جوناثان رأسه وهو يعود إلى شقته: «كان الله بعوني».

«فعلاً أنت بحاجة لمساعدته أعني مساعدة الله». تمتم السيد أنتونوتشي.

جوناثان لم يكن، ذاك الرجل الأعمى، شابًا وسيمًا أنيقًا دمث الأخلاق، يعرض لوحاته في نيويورك ولوس أنجلوس، إضافة إلى العواصم الأوروبية. تنشر جريدة الـ «نيويورك تايمز» صوره، وهو يوزّع الإبتسامات في الحفلات والمناسبات، ويجلس في الصفوف الأمامية للحضور. عنه، تحدثتْ صحف «لوس أنجلوس تايمز» و«شيكاغو تريبيون»، تتهافت الشاشات الصغيرة على إستضافته. رغم كل هذه الإنشغالات، ما تذمّر يومًا ولا اشتكى.

مكتبة
t.me/t_pdf

طباعة وإعادة نشر لوحته الأكثر شهرة رقصة «الفاغابوند» جعلت منه غنيًّا ومشهورًا. حاول الإبتعاد عن الغرور وعدم الإهتمام بما يُمنح من جوائز وأوسمة، لكن ذلك كان أقوى منه. أصبح معتادًا عليه، ويشعر أنه يستحقُّ ذلك. كان مبذّرًا في إنفاق المال. إشترى سيارة جاغوار فضّية اللون، وشقّةً في شارع ماديسون، وكنزة كشمير رمادية اللون، إضافة إلى معطفٍ مبطنٍ بالفرو.

كان منبوذًا من أبويه وشقيقته، و لم تكن هناك أية علاقة تجمعه بهم، إلى حدٍّ، لم يفكّر يومًا بالعودة إليهم. و لم يكن لديه اقرباء آخرون، فشكّل عائلته الخاصة به من الأصدقاء وزملائه الرسامين. كانوا يمضون عطلة عيد الشكر في آسبين وعيد الميلاد في جزر البحر الكاريبي وكثيرًا ما كانوا يقصدون

هاواي، مما جعل جوناثان يشترى منزلاً على شاطىء البحر، فكان واحدًا من ثلاثة يملكها في ذروة ثروته ونفوذه.

إعتقد، أن كل ذلك سيدوم، وأن المال القديم سيجني مالاً جديدًا، وأن ثروته ستتزايد، وكذلك صداقاته.

ولكن، وفي سنةٍ مشؤومةٍ، بدأ كل شيءٍ يتغيّر.

في نهاية المطاف، إنهار كل شيء. أصدقاؤه، أخذوا يمرضون ويموتون، واحدًا تلو الآخر بسبب فيروس مجهول الهوية والمصدر.

كل شيءٍ تغير، يتطلع إلى أصدقائه، فيرى وجوهًا شاحبة، وأجسادًا ناحلة، يدخلون المستشفيات، ولا يخرجون منها إلا جثثًا هامدة. وبدلاً من الذهاب إلى الحفلات، ها هو اليوم يقصد البيوت معزيًّا ومشاركًا ذوي أصدقائه في أحزانهم ومعاناتهم. وبدلاً من الجلوس في الصفوف الأمامية، إنه اليوم يقف خلف الأهل وأفراد العائلات، من كنتاكي إلى ميسيسيبي وغيرها، يستقبلون أبناءهم بالبكاء والنحيب مما يدمي أكثر القلوب قساوةً. هؤلاء كانوا شبّانًا تركوا بيوتهم ليصبحوا رسامين، مغنين، أو ممثلين. لكنهم اليوم يذهبون إلى حيث لا رجعة، وهكذا هي حال حياة جوناثان التي كان يعتقد أنها ستدوم إلى الأبد.

بعدها، أخذ جوناثان نفسه، يتعرض لنكسات صحيّة، وراح يفقد نظره شيئًا فشيئًا. في البدء لم يعد قادرًا على قراءة الصحف، ومن ثم لائحة الطعام في المطاعم، بعد ذلك، وجد نفسه غير قادرٍ على الرسم، ليس بسبب عدم وجود أفكارٍ جديدة لديه، بل لأنه يجد صعوبةً في جعل خطوط لوحاته متوازنة واضحةً. وعندما أدرك رُعاته عدم قدرته على إنتاج المزيد من اللوحات، توقّف إهتمامهم به.

أن يكون ضريرًا، هو أقسى من الموت بالنسبة له كفنان يعتمد على حدّة النظر. صار أشبه بمعاق. بين ليلة وضحاها، أصبح رجلاً وحيدًا يسكن في غرفة مستأجرة، بحاجةٍ للمساعدة في كل شيءٍ يبقيه على قيد الحياة.

المرارة التي بدأت تطغى على حياته، كانت تزداد يومًا بعد يوم. نادرًا ما يمرّ أسبوعٌ ولا يودّع صديقًا. منذ ذلك الحين، أخذ يعاني من بثور صفراء في فمه. كل شيءٍ أصبح مزعجًا.

لم يعد يتلقّى أي اتصالٍ هاتفيٍّ لتصوير إعلان أو إجراء مقابلة تلفزيونية، صار يجد صعوبةً في فتح زجاجة الدواء أو المُسكّن. كان يُمضي بعض الليالي، يتذكّرُ، كيف كان يعيش، حين كان الأصدقاء المقرّبون حوله.

كيف انتهى به الحال، فجعله يسكن مبنىً من الدرجة الثالثة، حيث المهاجرون غير الشرعيين وتجار المخدرات؟ أخذ يفكّر، بما سيقوله، أصدقاؤه الباقون على قيد الحياة، لو عرفوا

أنه يتناول الأطعمة الصينية الرخيصة الثمن، ولا يعطى رجل التسليم إكراميته؟

بالكاد يقدر على مغادرة الشقة، إلا للجلوس على كرسيٍّ أمام بابه، يدخّن سيجارًا مستوردًا ويتلذذ بما تبقّى لديه منها.

حياته صارت محصورة، بين النوم على سريره، ودخول الحمام، والجلوس على الكرسيّ أمام الباب يدخّن السيجار. «ما الداعي للعيش هكذا حياة؟». راح يسأل نفسه.

وأكثرُ ما كان يُقلقه، هو عدم قدرته على إيجادِ أجوبةٍ شافيةٍ على تساؤلاته.

***

كانت لوب، تعتقد نفسها محظوظة جدًّا، فهي تحبّ كبار السنّ، وتمضي معهم معظم أوقاتها هذه الأيام، خاصة مع جدّيها. تلعب الليخة مع جدّها بعد العشاء، وتستمتع بسماع حكايات جدتها في وقتٍ متأخرٍ من الليل.

حفظت لوب تلك القصص عن ظهر قلب. إحداها تدور حول لقاء جدّيها في إحدى حفلات الرقص التنكّرية التي كان يقيمها أبناء القرية، جاء جدها بعد يوم عمل مضنٍ على الطريق، كان الغبار يعلو شعره، ورفضت جدتها التحدّث إليه، إلا بعد العودة إلى البيت للإغتسال وتسريح شعره وارتداء ملابس نظيفة.

وكانت هناك حكاية عن ولادة لوبي المتعثرة، والتي استغرقت يومًا، بنهاره وليله. وكيف أن القلق انتاب جدتها التي راحت تتضرع لله، وكانت هناك قصص عن أزواج فقدوا منطقهم لفترات طويلة، لكنهم عادوا إلى زوجاتهم نادمين. أما الذين لم يندموا على ما فعلوا، فقد نالهم عقاب كبير من الله، حسب ما قالت الجدّة. مثل فقدان الساق أو الثروة، وحتى الإصابة بالصلع بين ليلة وضحاها. كل ما فهمته لوب من تلك القصص، أنها تدور حول الشرف والصراع مع الحياة. وفي نهاية المطاف، كان الخير هو المنتصر الدائم في حكايات جدتها. ما من إنسان صالح مات، إلّا فيما ندر. كانت لوب تحب مثل هذه القصص والحكايات لما لها من رمزية أخلاقية، تجعلها تشعر بالراحة، وجدتها كانت تعرف هذا.

أصدقاء جدّيها، كانو أصدقاؤها أيضًا، السيدة العجوز غونزاليس التي تسكن في الشقة رقم 102 والسيد سانتانا المقيم في الشقة رقم 109، الذي فقد زوجته مؤخرًا، فصار يتناول وجبة الإفطار في مقهىً مجاورٍ ويبكي بصمت ويمسح دموعه بمنديلٍ أبيضَ كان لزوجته. جدّاها كانا يتبعان سياسة الباب المفتوح، ويرحبون دائمًا بالأصدقاء، وكثيرًا ما كانت لوب هي التي ترافق كبار السنّ هؤلاء. كانت تحبُّ فيهم صراحتهم المتناهية، وتلك التجاعيد في وجوههم وقولهم للحقيقة دون مواربة.

هذا لا يعني أبدًا أنها لم تكن تتمنى لو أن لديها أصدقاء من عمرها، في المدرسة خاصة، حيث لم تتمكن من إيجاد مجموعة ترحب بها.

الفتيات المتحدرات من أصول أسبانية في مدرستها، كنّ أكبر منها سنًّا، فهي لم تكن ترتدي حمالة الصدر بعد، على عكسهن. كانت الفتيات يعاملنها بازدراء كلما إلتقين بها.

«لوب ما زلت طفلةً، أليس كذلك يا لوب؟». قالت إحدى التلميذات الوقحات واسمها ريتا، عندما رأتها ترغب بمشاركة المجموعة نزع العلكة عن أرض القاعة.

«لا» قالت لوب وهي تحاول تجاوزها بأسرع وقت ممكن، مما لم يسمح لهن بملاحظة فستانها القديم الذي غسلته وكوته لها جدتها، ولا بملاحظة حذائها الذي اشترته من متجر للأحذية المستعملة.

كانت لوب فخورةً لوجودها في مدرسة، الأغلب الأعمّ من طالباتها هن بنات أطباء وجراحين ويُشبهن الأميرات.

كان لهؤلاء الفتيات أمهات يضاهينهن جمالاً، يقدن سيارات رباعية الدفع، ويوصلن بناتهن إلى المدرسة وما إن ينزلن من السيارات حتى تفوح رائحة العطور، واحدة منهن تُدعى بري، ثريةٌ جدًّا ومعتدةٌ بنفسها فاتنة الجمال، إلا أن لوب لم تتمكن حتى أن تتخيل أنه من الممكن أن تكون صديقة لها في يومٍ من الأيام. بري هي مثال النجاح الإجتماعي، في

الكافتيريا، تخصص لها الفتيات مقعدًا على رأس الطاولة. ترتدي أجمل الثياب وأكثرها أناقة، تنورة سوداء مع قميص ضيّق على الصدر، تبدو وكأنها واحدة من اللواتي تنشر مجلات الأزياء صورهن، أو يظهرن في البرامج التلفزيونية. لا يبدو عليها التعب ولا الإحباط. بيضاوية الوجه، وجنتان ورديتان، عينان زرقاوان وقليل من مساحيق التجميل. لم يسبق للوب أن رأت خدّي بري يحمران خجلاً، كما يحصل معها.

بعد ظهر ذات يوم، تجرّأت لوب وقالت لها «يعجبني لون قميصك». كان لونه أزرق باهتًا، يذكّر لوب بلون سماء قريتها في المكسيك، لكن بري نظرت إليها بازدراء، كما لو أنها تفوهت بالشيء الأكثر غباوةً في العالم.

أحسّت لوب بالإهانة، لكنها تمالكت أعصابها فلم تنفجر بالبكاء.

تذكّرت للتوّ، نصيحة جدتها حول تمالك الأعصاب وقوّة التفكير الإيجابي، فنظرت إلى بري وابتسمت، على الرغم من نظرات هذه الأخيرة المعبّرة عن الإزدراء.

«وما الذي يجعلها تبتسم؟». سألت بري صديقةً كانت تقف إلى جانبها، وانفجرتا معًا بالضحك، كما لو انهما مترنحتان من السكر.

الفصل الثالث

ذات يوم، وبعد انتهاء دوام المدرسة، اعتلت لوب دراجتها عائدةً إلى المنزل، كانت الريح تلاعب شعرها فيشكّل ما يشبه المظلة، فوق رأسها، كانت الحرارة مرتفعة وكذلك الرطوبة. رغم ذلك، راحت تغني واحدة من أغانيها المحببة.

في الطريق، أوقفت لوب درّاجتها أمام بناية تضم مكتبات ومقاهي إنترنت. دخلت وجلست أمام شاشة الكمبيوتر، وطبعت إسم جوناثان. لم تصدّق الذي شاهدته أمامها ، رأت صورةً له عندما كان فتًا يافعًا. بدا إنسانًا أنيقًا أسود الشعر والإبتسامة تعلو شفتيه. كانت هناك عشرات الصفحات عن فنّه وحياته. كانت لوب تقرأ وهي لا تصدّق ما ترى.

جوناثان لم يكن مشهورًا كرسام يعاد طبع لوحاته عشرات المرّات فقط ، بل بألوان لوحاته المشبعة بالضوء، وأسلوبه الجريء المتميز بالواقعية. أشهر لوحاته رقصة الفاجابوند

والتي تُعتبر الأكثر مبيعًا منذ ظهورها لأول مرة، وحتى اليوم أيضًا.

أرادت لوب رؤية اللوحة بوضوح نقرت عليها، فظهر لها رجلٌ يقف عند زاوية إحدى الشوارع وحيدًا في الليل. كان رجلاً طويل القامة، تمامًا مثل جوناثان، يرفع يده في الهواء في حركةٍ راقصةٍ. إنها لوحة رائعة الجمال وتثير المشاعر.

واصلت لوب القراءة «بشكلٍ مأساوي، توقف لانغلي عن الإنتاج، بسبب مرضٍ تنكسيّ أصابه وهو في الأربعين من عمره. والآن هو فاقدٌ النظر كليًّا، يعيش في مكانٍ ما قرب الخليج في سان فرنسيسكو. لم يرسم أي لوحاتٍ جديدة منذ بدأ المرض ينهش جسده».

سعل أحدهم وراءها، واستدارت لوب، لترى بري تقف خلفها ترمقها بنظرات معبرة عن الامتعاض. كانت ترتدي تنورة سوداء، مع قميصٍ ضيّقٍ عند الصدر، ومن عنقها تتدلّى قلادة برّاقة. «أيمكنكِ إخباري، إلى متى ستبقين هنا؟ لدي بحث إجتماعي أود الإنتهاء منه».

نظرت لوب حولها، كل أجهزة الكمبيوتر مشغولة من قبل أشخاصٍ وصلوا مؤخرًا، ولكن لماذا لم تحاول بري الطلب من غيرها؟ إلا أن لوب هزّت رأسها وبدلاً من مناقشتها، ابتسمت.

«لحظات وأنتهي، أنا جدٌّ متأسّفة، جعلتك تنتظرين».

طبعت لوب المقالة عن جوناثان، وجمعت كتبها على عجلٍ، إفساحًا بالمجال لبري لتأخذ مكانها. بري فعلت ذلك، دون أية إلتفاتة أو توجيه كلمة شكرٍ.

ترددت لوب قبل الخروج، وراحت تراقب بري التي أزاحت شعرها الذهبيّ عن وجهها، ودخلت إلى موقع الفيس بوك.

لاحظت بري ان لوب تراقبها، فنظرت إليها وهي تتكلف الإبتسامة.

***

حين وصلت لوب إلى المنزل، وجدت جوناثان جالسًا على كرسيّه أمام باب شقته، يدخّن سيجارًا صغيرًا.

«من هناك؟».

لم تتكلم لوب، بل راحت تنظر إليه وتقارن بين ما ترى، وبين ما رأته في وقتٍ سابقٍ اليوم.

«يجب ألا تدخّن» قالت.

«من يقول ذلك؟».

«لوب».

«حسنًا لوب، عليك الإهتمام بشؤونك الخاصة». ونفخ دخان سيجاره في وجهها.

«الهواء هو ملكٌ الجميع». قالت لوب.

«إبتعدي عنّي. ماذا تفعلين هنا؟ أتسكنين هنا؟ أعتقد أني لاحظت ذلك، فهل تضعين عطرًا برائحة الورد؟».

«لا» قالت لوب، معتبرةً أن ما سمعته يشبه الإهانة. «أنا لا أضع عطرًا على الإطلاق».

«إذن لربما هو سائل الإستحمام. أو لربما هي رائحتك أنت».

و لم يقل إنه رأى ضوءًا فضّيًا ولا كيف ميّز هذه الرائحة.

«أقيمُ مع جدّيَ». قالت لوب وتابعت «في الشقة المجاورة».

أخذ جوناثان نفسًا عميقًا. «حسنًا، إنه أمرٌ رائع، أتنوين أن تكوني ممرضة؟».

«ممرضة...؟».

«ليس همًّا». نفض سيجاره في المنفضة. «بالمناسبة، ماذا كانت جدتك الحمقاءُ تقلي ليلاً؟ لقد عبقت الرائحة في شقّتي».

بصوتٍ خافتٍ تمتمتْ لوب «ما الذي أسمعه؟».

«علّمتني جدّتي أن أُغني كلما أقدم شخصٌ على إزعاجي».

قهقه جوناثان «الوقاحة هي نوعٌ من الشتيمة. أما تحبين أن تسمعي الشتيمة؟».

لم تبالي لوب بما يقول، وأنشدت مقطعًا من أغنية.

«توقفي عن الغناء». صاح جوناثان.

«أيُّ نوعٍ من السيجار؟ إنه سيءٌ على كل حال».

«إنه من النوع الغالي الثمن. وهذا ما..».

«أرجوك التوقف عن التدخين. فجدي بالكاد قادرٌ على التنفّس».

«هذه مشكلته».

«لكن تدخينك سيدمر صداقتنا».

«صداقتنا؟». ضحك جوناثان. ثم تابع «كم عمرك؟».

«أحد عشر عامًا».

«حسنًا، أنت صغيرةٌ جدًّا بالنسبةِ لي يا عزيزتي».

«وكم عمرك أنت؟».

«مئتان واثنتا عشر عامًا».

«حسنًا. لا يجوز التدخين في هذا العمر. ولكن، كوننا أصدقاء، فسأساعدك».

بهدوءٍ أخذت لوب السيجار من بين أصابع جوناثان، وراحت تهبط الدرج.

«هاي، ماذا تفعلين؟ أعطني إيّاه».

رفع يديه في الهواء بحثًا عنها «أنا ضريرٌ - لا أستطيع أن أراك».

«أعرف ذلك». قالت لوب وتابعت هبوطها الدرج.

«أنت أيتها الشقيّة الصغيرة!!! أعيديه إليّ».

«حسنًا يمكنك أن تصرخ بقدر ما شئت. سنبقى أصدقاء. إني أتخيل أمورًا جيدةً من أجلك».

«عمّا تتحدثين؟»..

«أن تقول وداعًا لهذا السيجار اللعين».

«عما تتحدثين، أيتها الصغيرة المقرفة؟»..

خرجت لوب من مدخل البناية ورمت السيجار في بورةٍ قريبة وسحقته بنعلها.

***

جدّتها، كانت محط ثقتها، ومستشارتها الخاصة، والإنسان الملهم. علمتها كيف تواجه مشاكل الحياة، والمشاكل التي تواجه الفتيات بشكلٍ خاصٍّ من خلال قصّةٍ او حكايةٍ لتعتبر منها.

عندما استغربت إحدى الفتيات في المدرسة اسم لوب، روت لها جدتها قصة عن صبيٍّ كان يحمل ذات الإسم، نمى وترعرع، وأصبح محاميًا ناجحًا، يدافع عن الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

عندما تعاركت لوب مع صبيٍّ حاول سرقة محفظتها، علمتها

جدتها تقنية لِيّ المعصم التي تجعل السارق ليس ترك المحفظة وحسب، بل يصرخ من الألم. «كما ويمكنك إستخدام هذه التقنية، للتخلص من المشكل والإبتعاد بسرعة». قالت الجدة.

كان من الواضح، أنه ليس هناك شخص له خبرات كالتي تمتلكها الجدة.

علّمتها أن تغني، كلما واجهتها الأفكار السلبية، وأن الغناء قوة إيجابية تنتقل بالعدوى بين البشر على الآخرين إلتقاطها بسرعة والسماح لها بالتغلغل في الروح. من الأغنيات المحببة لقلب لوب:

في أعماق كينونتي، هناك بئر حبٍّ لا ينضب
وأنا... أسمح لهذا الحبِّ أن يطفوَ على السطح،
أن يملأ قلبي وجسدي وذهني
ووعيي وكل كياني، وينبثق مني في كل الإتجاهات،
ويعود إليّ أضعافًا مضاعفةً.
كلما أعطيت المزيد من الحب، كلما نلتُ المزيد منه.

لوب، أنشدت هذه الأغنية مراتٍ عدة، حتى باتت تحفظها عن ظهر قلب.

«تذكّري هناك عينٌ في عقلك، إن أردتِ إستخدامها لرؤية ما تريدين، فكأنك تستحضرينه إلى حياتكِ». هذا ما كانت جدتها ترده على مسمعها. «للكلمات التي تستعملينها،

قوة سحرية فائقة فلا تستعملينها للسلبية أو الشتيمة. وحدها الكلمات الإيجابية تشعُّ نورًا».

ضحكت الجدّة، وأخذتها بين ذراعيها. «ليس همًّا، يا زهرتي. تأكدي من إيجابية كل كلمة قبل أن تخرج من فمك وتتفاعل في عقلك. أنظري إلى حياتك بالطريقة التي تريدينها أن تكون، أنظري إلى حياة اللذين تحبّين على أنها مملوءةٌ نعمةً ونورًا. هذا هو سرّ الحياة. شيءٌ يعرفه الجميع، ولكن معظم الناس يتناسونه».

لعناق جدتها رائحة يصعب وصفها. كلما أحست لوب بالخوف ليلاً، تلفّ ذراعيها حول عنق جدتها، وتلتصق بها. فتشعر بالأمان.

الفصل الرابع

يومٌ آخر حارٌّ ومرهق.

سمعت جدتها تشتكي من الفقر والعوز. لم تتفوه ببنت شفة. ركبت دراجتها وقصدت السوق التجاري، لوب تقف تحت مظلة، ومعها إبريق ليموناضة، تحت لافتة مكتوب عليها «أفضل ليموناضة في المدينة»، ها هي تشتري الليمون، ورطلين من السكّر، ومياهًا مصفّاةً. في المطبخ كانت لوب تتلقى تعليمات جدتها عن كيفية صنع أفضل عصير ليموناضة.

«في المنزل، نشرب الليموناضة غير المبرّدة، ولكن في أميركا يختلف الوضع، فالأميركييون يحبون الليموناضة الباردة. لذا عليك إضافة الكثير من مكعبات الثلج، وإلا لن يشتري أحدٌ منك حتى ولو كوبًا واحدًا».

بعد نصف ساعة، ها هي لوب تقف إلى جانب الطريق مقابل البناية حيث تسكن مع إبريق الليموناضة والعديد من الأكواب إلى جانبها.

كانت تبتسم كرجل أعمال وتراقب: إنسانٌ غاضب يتحدث على الخلوي، فرماه بعيدًا، حتى انه لم يكن قادرًا على رؤية طريقه. امرأة تضع سماعة الخلوي على أذنيها، ويبدو أنها تتجادل مع نفسها. امرأة في منتصف العمر ترتدي ثوبًا أبيضَ ضيّقًا.

توقفت سيارة رباعية الدفع، فيها عدد من الطلاب الثانويين، بالقرب من لوب. نظر إليها أحدهم نظرة استهزاء واحتقار.

«هاي شيكيتا». ناداها آخر بلهجة كما لو أنه يوجّه لها الإهانة.

الشمس تميل إلى الغروب. جدتها تراقبها من الشقة، كانت على وشك النزول، لكنها عدلت عن ذلك.

جبين لوب يتصببُ عرقًا، حتى أن العرق وصل إلى وجنتيها، لكنها ما تزال تحتفظ بابتسامتها.

أغمضت لوب عينيها وراحت تمتم «أنا أجذب الناس الطيبين في العالم فقط، لأنهم المرآة التي تعكس ما في داخلي».

فتحت عينيها، نظرت حولها، الرصيف خالٍ من كل شيءٍ، باستثناء كلبٍ أسودَ، توقف ليشتم حذاءها، ثم تابع طريقه.

وفيما كانت لوب تفكّر بالعودة إلى البيت، أخذ الزبائن يأتون. سيارة محشوّة بالعديد من الأولاد، إضافة إلى الوالدين، ترجّل الوالد وطلب كوبًا لكل واحدٍ.

«لقد تعطّل مكيف الهواء في السيارة». قال الوالد.

العديد من الصبية أتوا على درّاجاتهم، وكذلك عددٌ من الأطفال.

كانوا يعانون الحرّ والعطش، فأفرغوا جيوبهم من كل ما فيها من دراهم.

في هذا الوقت نفذ ما كان لدى لوب من عصير الليمو ناضة. الشمس على وشك الغروب، محفظة لوب، ممتلئة نقودًا إلى حدٍّ ما.

***

تسلقت لوب الدرج حتى الطابق الثاني، لتجد جوناثان يجلس أمام بيته، ويكاد ينتهي من تدخين سيجارٍ آخر.

«مرحبًا سيد جوناثان».

قفز من مكانه. «يا إلهي، لا يحقّ لك التسلل هكذا».

وحاول وضع السيجار بالقرب من صدره. «لا تفكّري بأخذه».

«لن أفعل».

«أنا سأفعل ذلك بنفسي». قال هذا ورمى السيجار من يده.

«أرأيت؟ لقد فعلتَ ما طلبته منك».

«أنا لم أستجب لما طلبتِ»، وقف في مواجهة لوب، «لا أريد سماع تلك الأغنية الغبيّة مرةً أخرى».

«لذلك فأنت تتعرق».

«أنت مجرد حشرة، أتعرفين ذلك؟». وبأسلوب التهديد تابع «سأبلغ جدتك بما تفعلين، مرةً أخرى ما اسمهما؟».

«جوانا وراول سالدانا: س ا ل د ا ن ا».

«أي إسم هو هذا؟ فيه الكثير من حرف الألف».

تجاهلت لوب تعليقاته، وأفرغت ما في حقيبتها من قطع نقدية «إنتهيت للتوّ من بيع الليموناضة، لقد جنيت ثمانيةً وعشرين دولارًا وخمسة وعشرين سنتًا».

«من بيع الليموناضة؟».

«ومن البقشيش أيضًا». قالت هذا وهي تقترب منه، وكأنها تريد إخباره سرًّا «أنا بحاجة للمال لأمرٍ خاصٍ جدًّا،

أريد شراء فستانٍ لبلوغي الخامسة عشر من عمري».

تجهّم وجه جوناثان «ما هذا. أنوع من أطعمتكم الكريهة الرائحة».

«إنه احتفال كبير لبلوغي الخامسة عشر، هذا يعني، أني أصبحت امرأة ناضجة، يحق لي إرتداء الفساتين وحمل باقة زهور».

«أعتقد قلت أنك في الحادية عشر من العمر».

«نعم. وقريبا سأبلغ الثانية عشر. وعليّ البدء بادخار المال، هكذا يكون بمقدوري شراء أجمل فستان، والقيام بأعمالٍ إضافية، مثل العمل لحسابك».

«ماذا؟ إنك تزعجينني. ولكن، ها أنت تخدمينني مجّانًا».

«بكلّ تأكيد». قالت لوب وهي تنظر إليه بجدّية. «أنت بحاجة للمساعدة».

تجهم وجه جوناثان، كما لو أن تلك الكلمات قد أزعجته.

«لدى بعض المكفوفين كلابٌ». قالت لوب.

«أتريدين أن تكوني الكلب الذي أرى من خلال عينيه؟».

«لا. أريد أن أكون لوب التي ترى من خلال عينيها».

«أنا لست بحاجةٍ لك».

«لكني أساعدك فعلاً. غيرت المصباح هذا الصباح،

وجلبتُ لك رزمة كانت عند أسفل الدرج، وأمس أحضرتُ البريد».

«حسنًا». أجاب جوناثان. «أنا لم أطلب منك أي شيءٍ من هذا القبيل».

«أعرف أنك لم تفعل. أنا من أرادت ذلك». قالت هذا وقصدت باب شقتها، فتحت الباب، واستدارت نحوه «أرغب برؤيتك سعيدًا». دخلت الشقة، وأغلقت الباب خلفها.

ظلّ جوناثان في كرسيه. «سعيدًا؟». هز رأسه والألم يعتصره.

***

راحت لوب تقرأ عن إحدى رحلات جوناثان إلى البندقية، بصحبة صديقه جورجي الآتي من إنديانا، كانت رحلة مميزة للإحتفال بعيد ميلاد جورجي الخامس والعشرين، الذي أراده أن يكون في مكانٍ يعتبره واحدًا من عجائب الدنيا. إنبهرا بما شاهداه من فنونٍ في قصر دوجيس، شربا النبيذ في ساحة القديس مارك، واستمعا إلى مقاطع من تاجر البندقية لشكسبير وهما يعبران القنوات المائية بالجوندول.

اعتقد جوناثان، أن جورجي سيصاب بالإنبهار عند رؤيته القناة الكبرى للمرة الأولى.

«أتعرف مدى قدم هذه؟». تساءل جورجي، تعبيرًا عن الإحساس بالإثارة، وشعره يتطاير على وجهه ويغطّي عينيه.

ولد جورجي في غرب أميركا، لم يسبق له أن سافر إلى مكانٍ خارج كاليفورنيا. زوّده جوناثان، بكل ما يعرفه عن البندقية، علّمه كيف يختار النبيذ حين يتناول العشاء، وكيف ينطق بعض الكلمات الإيطالية. ومن يكون شوبان، مقارنةً مع موزارت. وكان جورجي ممتنًا ومقدرًا لما يفعله صديقه.

«لولاك، ما كنت لأعرف شيئًا». كان جورجي يقول لجوناثان، ويرمقه بنظرات معبرةٍ عن الحب والإحترام والتقدير.

فعلاً، كان الشاب الأكثر روعة، رآه جوناثان في حياته، حتى أنه كثيرًا ما كان لا يصدق كم هو محظوظ بصحبته.

ومع ذلك، كان ينتاب جوناثان من حين لآخر، شعور، أن هناك إحتمالاً ألا تدوم هذه العلاقة إلى الأبد. هناك فارق بالعمر. ففي نهاية المطاف، قد يشعر جورجي بالملل ويبحث عن شخصٍ أصغرَ سنًّا وأكثر وسامةً. لم يخطر بباله، أن جورجي سيموت قبله. لكنه كان دائم التشاؤم.

النظرة التشاؤمية، هي إرث عن والدته، التي كان يُطلق عليها لقب المرأة الأكثر سلبيةً في العالم. بيل لانغلي، كانت الشخص الذي وُلد في الزمن الخطأ، وفي المكان الخطأ، امرأة ذكية، ما دخلت الجامعة يومًا ، تعيش متمسكةً ببيتها

الكائن في إحدى الضواحي، منزعجةً جدًّا من ولديها اللذين كانا يرفضان مفهومها للحياة العائلية. الأول هو جوناثان، صاحب الإحساس المفرط، الذي يكره الرياضة، ويعشق اللون والرسم على الأقمشة. ومن ثم، شقيقته، التي نما جسدها قبل أوانه، والتي كانت تعلن تمردها على واقعها، كلما سنحت لها الفرصة. في الوقت كان جوناثان يلازم البيت يعمل على ماكينة الخياطة، كانت كارلا تخرج من البيت كل ليلةٍ لتعاشر أي فتىً تتمكن من إغوائه.

اعتبرت بيللي، تصرفات ابنتها المشينة هذه، إهانةً شخصيةً لها، واتهامًا بعدم تربيتها تربيةً حسنةً، وتمرّدًا على الحياة العائلية والأخلاق الكاثوليكية. كل يوم كان بينهما، مباريات في الزعيق والصراخ، تشتد حينًا وتخمد حينًا آخر. لكنّ واحدةً من تلك الجولات، علا فيها الصراخ، لدرجة قدوم رجال الشرطة يستفسرون عن الأمر.

والدهما هنري، كان إنسانًا مختلفًا، أكثر إعتدالاً ومرونةً وتسامحًا. لكنه كان محبوسًا في سجنه الخاص، مكتب العقارات الذي يملكه، ويسعى جاهدًا لكسب ما يكفي من المال لعائلته.

وفي الوقت الذي كان فيه جوناثان يعمل على ماكينة الخياطة، أو يرسم على خلفية لفائف ورق الجدران، كان شديد الرغبة في مغادرة البيت، ولم تكن والدته، تتظاهر انها ستفتقده، لكن، تخنثه وتصرفاته الجنسية كانت تشغل بالها.

«لا أريد المزيد من الستائر المزخرفة. لماذا لا تخرج وتلعب بكرة القدم، بحق المسيح لماذا لا تفعل ذلك؟».

ساعدته في ترتيب القبول المبكر للجامعة وهو ما يزال في المدرسة الثانوية. لكن المفاجأة الكبرى، بالنسبة لها، عثورها تحت فراشه على مجلّة أثبتت شكوكها واعتبرتها إتهامًا له وتظهر ميوله الجنسية. ليس هناك ما هو أسوأ من هذا. «كنت أعرف أنك منحرف جنسيًّا، إنها لإساءةٌ لي أن أكون أمًّا لك».

«ولكن ليس بقدر الإساءة التي أشعر بها كونك أمي». هذا ما قاله جوناثان، قبل أن يغلق الباب خلفه بشدة بوجهها.

كان غير قادرٍ على التخلي عن أمه تمامًا. كثيرًا ما كان يسمع اسمها يصدر من فمه. كلما غسل قطعة ثيابٍ أو أعدّ الطعام، مما جعله يعتقد، أنه يصعُب عليه التحرر منها.

بعد عراك قوي معها، أقسم ألاّ يتصل بها مرة أخرى، وبالفعل لم يفعل. لكنه عاد وتذكرها بعد إصابته بالعمى، وخسارته لكل من في حياته. اعتقد أن من الأفضل ألا يتصل بها، فيوم كان يعيش السعادة والرفاهية لم يفعل، فهل يفعل ذلك الآن وهو تعيس لا يلوي على شيءٍ تقريبًا؟ ولم يكن لديه أية وسيلة للتقرّب من والده إلا عبرها هي. تمت بينهم إتصالات نادرة كان ذلك عندما تُوفيت عمته وكذلك حين توفي إبن عمه، أما ما عدا ذلك، فهم أشبه بالغرباء.

أما بالنسبة لشقيقته، فكل ما يعرفه عنها، أنها تعمل في

إحدى مزارع سياتل. كان صعبًا عليه أن يعرف هذا، لكنه بدا أفضل بكثير من الإستمرار بنشاطاتها السابقة. بصراحة، إنه دائم التذمر منها.

هذا كل شيءٍ عن العائلة.

بطريقةٍ أو بأخرى، هو سعيدٌ لدخول لوب إلى حياته.

الفصل الخامس

مكتبة
t.me/t_pdf

في وقتٍ لاحقٍ من ذلك الأسبوع، دخلت لوب شقة جوناثان مرة ثانية، إنما لنفض الغبار هذه المرة. كان يجلس خلف مكتبه، يستعيد ذكريات أيام مضت. حدقت لوب جيّدًا، إنها شقةٌ رائعة، كتبٌ فوق الرفوف، وعشرات اللوحات، والكثير منها مغطّىً بالقماش.

لم تنجز عملها سريعًا، إنها تحدق بكل شيءٍ، وغير قادرةٍ على منع نفسها من الإستفسار عن العديد مما ترى.

«هذه البيضة... يبدو أنها مصنوعة من الرخام الخالص؟»..

«أنا أدفع لك لنفض الغبار».

«أخبرني فقط».

«نعم، جئت بها من اليونان».

«اليونان؟». رددت لوب بنبرة توحي أنها لم تكن متأكدة مما سمعت.

«نعم... اليونان مهد الحضاة والتاريخ. كنت أذهب إلى جزيرة أجانيطس، وهي جزيرة صغيرة في البحر الأبيض المتوسط، تقع جنوب غرب أثينا. ماذا تتعلمين في الجغرافيا؟».

«نحن لا نتعلّم الجغرافيا».

«لا... أتمزحين؟».

«وهذه السيدة العارية اليدين؟».

«إنها فينوس دي ميلو. واحد من التماثيل الأكثر شهرةً في العالم».

راحت لوب تتفحص التمثال بصمت.

«أحببت هذا التمثال مع الأجنحة المطوية إلى الوراء».

«إنه النسر المجنّح». قال جوناثان وواصل الخربشة على ورقة أمامه. «هناك عند نهاية الرف، كتاب يتحدث عن الفنون العالمية. إذا كنت مهتمةً بالموضوع فلماذا لا تأخينه معك إلى البيت وتتصفحينه بهدوء؟ إنما عليك الإنتهاء من العمل الذي دفعت لك من أجله أولاً ومن دون عناء».

«حقًّا، أتسمح لي بذلك؟»..

«وما فائدة هذه الكتب بالنسبة لي، وانا على هذه الحال؟»..

وجدت لوب الكتاب، أخذته بين يديها، لكنها ترددت. رفع رأسه وكأنه يحاول معرفة أين هي. «لوب».

«نعم..»..

«أتعتقدين، أنه بمقدورك جلب تلك المطبوعات لي؟ كل أسبوعين تصلني شحنة كبيرة منها لأوقعها. بعضها كبيرٌ جدًّا».

«نعم بمقدوري.. أنا قويةٌ جدًّا».

«وما هو جدول مواعيدك؟»..

«حسنًا، أنا ما زلت طالبة في المدرسة».

«وهل بإمكانك تركها؟ هذا العمل هو أكثر أهميةً».

ضحكت لوب «سآتي مباشرة إلى هنا. أعدك بذلك».

«في مطلق الأحوال، ما نفع المدرسة؟».

«تشفعي بنا يا سيدة الرحمة».

«من يعلمك؟ الراهبات».

«هم... هممممممم».

«أجد الراهبات مرعبات».

«إنما ليس أنا. أنا أحبهن».

«تحبينهن؟ حسنًا سنرى».

ما هي إلا دقائق قليلة ، وانتهت لوب من عملها، دفع لها جوناثان بدل أتعابها.

«إذهبي واقرئي كتبك».

***

في اليوم التالي، جاءت لوب، فتحت باب الشقّة، كان جوناثان يتحدث على الهاتف بصوتٍ عالٍ. دخلت بهدوء.

كان جوناثان يرتدي ثوب الإستحمام، يبدو غاضبًا، يحمل سيجارًا بيده، دون أن يحاول إشعاله.

«التسوية غير واردة أبدًا. من غير المسموح نشر أعمالي دون إذن مسبقٍ مني. يستحيل ذلك».

كما دخلت بهدوء، خرجت لوب من الغرفة وبدأت بتنظيف الحمام.

«حسنًا ليذهب الجميع إلى الجحيم. أنا قلتُ لا، يعني لا».

إنتهت لوب من تنظيف كرسيّ الحمام، تمهّلت قليلاً، وراحت تدندن واحدةً من أغانيها المفضلة.

جوناثان ما يزال يتكلم بصوتٍ مرتفع.

«لا يهمني، إن كان مستشفى او غيره، هم يتقاضون أموالاً لقاء خدماتهم، وانا أتقاضى لقاء خدماتي».

اقتربت لوب، وضعت يدها على كتفه وهمست بأذنيه: «ألديك أية ملاحظات؟».

بدا منزعجًا من مقاطعتها. «إنتبهي لا تقاطعيني ثانية، لا تحرّكي شيئًا من مكانه على طاولة المكتب، وإلا لن أتمكّن من إيجاده».

تناولت لوب دفتر الملاحظات عن المكتب وكتبت «وحدهم الخيّرون يقفون إلى جانبي».

إنتزعت الورقة وعلّقتها على الحائط ، ثم بدأت بالكتابة على ورقةٍ أخرى علقتها على مرآة الحمّام.

وقفت أمام المرآة، وراحت تنظر إلى نفسها، رتبت شعرها، وحدقت به.

أنهى جوناثان مكالمته الهاتفية، لكنه كان ما يزال يكلّم نفسه.

«سيد جوناثان؟».

«ماذا تريدين؟».

«أعرف أنك كفيف، ولكن هل لديك أية فكرة عني، أعني كيف أبدو؟».

إستدار نحوها.

«ولماذا تسألين؟».

احمرّ وجهها خجلاً. «كنت أتساءل فقط. جدتي تقول إني جميلة ولكنها الوحيدة التي تقول ذلك. الفتيات في المدرسة، لا يعاملني معاملة حسنة، فربما لأنني قبيحة».

«أنت لست قبيحة على الإطلاق، يمكنني تأكيد ذلك».

«وكيف تعرف؟».

«إليك كيف أعرف. هناك هالة حولك تقول، إنك لست قبيحة».

«هالة؟ سمعت جدتي تردد هذه الكلمة مراتٍ عدّة».

«نعم... وأراهن على ذلك. إسمحي أن ألمس وجهك».

إقتربت لوب وسمحت له بتمرير أصابعه الطويلة على تكاوين وجهها.

«كنت نحّاتًا أيضًا، يعني أني خبير بالوجوه». قال هذا وتابع تحريك أصابعه على وجهها حتى وصلت إلى جبهتها. «إنتبهي، الوجه المثالي، ينقسم أفقيًا إلى ثلاثة مساحات متساوية. هذا ما كان يقوله ليوناردو دافنشي وكذلك قدامى الرياضيين اليونان. ووجهك هو هكذا. لديه ابعاد الجمال المثالية، بعبارة أخرى، أنت جميلة، ولا تسمحي لأحدٍ أن يقول لك غير ذلك».

حدّقت لوب بوجه جوناثان، وكادت أن تبكي.

«شكرًا سأذهب الآن».

خرجت من الغرفة وأغلقت الباب وهي تقول «أبعاد الجمال المثالية».

***

في وقتٍ لاحقٍ من ذلك الأسبوع، وقفت لوب على خشبة مسرح المدرسة، للمشاركة في كورال مؤلف من فتيات المدرسة.

بقيادة إحدى الراهبات، أخذن ينشدن «كم أنت عظيمٌ يا أيها الطريق». وبرز صوت لوب السوبرانو واضحًا رنانًا وقويًا، أطرب جميع الفتيات، وبري خاصة، التي جحظت عيناها.

لكن لوب وجدت نفسها وحيدة عند إحدى زوايا المسرح، والفتيات الأخريات كن متحلقاتٍ حول بري. إنه نفوذها جعل الفتيات يتحلقن حولها ويبتعدن عن لوب.

إنزعجت الراهبة قائدة الأوركسترا، فرفعت عصاها.. «لماذا هذا الإنقسام؟ كل سوبرانو هي واحدة من مجموعة. عدن إلى ما كنتن عليه».

نظرت الفتيات إلى بري، التي أخفضت عينيها، دلالة الموافقة.

تجاهلت لوب ما جرى واحتفظت بالإبتسامة على شفتيها، كانت متذمرة، فأخذت تتمتم، بحيث لا يستطيع أحدٌ سماعها، «أنا أحب نفسي، لذلك أتصرف وفقًا لما تقتضيه محبتي لجميع الناس. إني على يقينٍ أن ما أُعطيه من محبة، يعود إليّ أضعافًا مضاعفة».

***

بعد ظهر ذاك اليوم، وفي شقة جوناثان، وضعت لوب الخضروات التي جلبتها فيما كان جوناثان يقف قبالة النافذة.

«سيد جوناثان».

«نعم».

«هناك أمر ما يدعوني للتساؤل».

«ماذا؟»..

«لماذا العدد الأكبر من لوحاتك مغطىً؟ أحتى لا يستطيع أحدٌ رؤيتها؟».

أزعجه السؤال «في المرة القادمة، وحين تذهبين إلى أحد المتاجر، إشتري شريطًا لاصقًا، حتى أضعه على فمك، فلا تطرحين سؤالاً من هذا القبيل ثانية».

«حسنًا سأفعل».

تنهد جوناثان. «لسببين، الأول لأني لست قادرًا على رؤيتها، والثاني، حتى لا يلحق بها ضررٌ بسبب التدخين أو تعرضها لأشعة الشمس».

«سببان غير مقنعين». قالت لوب، وتحركت نحو مكتب جوناثان، حيث كان هناك غطاء كبير من الكانفا. «ولهذا فأنت لا تدخن هنا؟».

«ولماذا لا تهتمين بأعمالك فقط؟». أخذ جوناثان يتحرك نحوها.

عندما، تاكد أين تقف، توقف لحظة وهو يتنهد «هذا الذي فوق مكتبي» قال: «إنه كلبي بو، كان ذكيًا وشديد الولاء والطاعة».

«كان؟ أيعني هذا أنه رحل؟».

«نعم».

«وماذا عن الصورة المحاذية له، لناحية النافذة؟».

«والدايّ».

«وهما رحلا أيضًا؟».

«نعم رحلا، إنما ما يزالان أحياء. إنهما يعيشان في فلوريدا ـ عمليًا ذات النتيجة».

«أما حاولت الذهاب لرؤيتهما؟». تساءلت لوب.

«لا... أنا وأمي على خصام منذ سنوات عديدة، أنا لا أحبّها، ولا هي تحبّني أيضًا، ونادرًا ما كان بيننا أيّ تواصل».

«إنه لأمر مؤسف». قالت لوب «بودي لو أرى والديّ».

«ما اعتقدت يومًا أن لك أبوين، كنت أعتقد أن جدّيك يهتمان بك».

«ما يزال عندي أبوان. لكل واحدٍ منا أبوان».

«ولماذا تعيشين مع جدّيك؟».

استدارت لوب «لربما أنت أيضًا بحاجةٍ لشريطٍ لاصق».

تجهم وجه جوناثان «أتعرفين ماذا يعني قولك هذا؟».

أومأت برأسها، لكنها تذكرت أنه غير قادرٍ على رؤيتها «لا... لا أعرف».

استدار جوناثان واتجه نحو المطبخ، أشعل الطبّاخ، لإعداد كوب من الشاي.

«إذن، وماذا عن اللوحة في غرفة نومك؟».

أطفأ جوناثان نار الطبّاخ وتوقف للحظة ثم قال «إنها زوجتي».

«آسفة، وهي بدورها رحلت أيضًا؟».

أومأ جوناثان برأسه، «في فلوريدا؟».

«هي ماتت أولاً، ومن ثم طفلنا».

«طفلكما؟».

«بو.. كان هو طفلنا الأول. هكذا كنت أشعر نحوه».

ترددت لوب قبل أن تتكلم «أتعني أنكما، أنت وزوجتك، كنتما عاجزين عن إنجاب الأطفال؟ أعرف سيدة حالتها تشبه حالتكما، تناولت الكثير من العقاقير، وتحملت وخز الإبر، إن في العيادات الخاصة، أو في المستشفيات، حتى أنها حاولت إجراء محاولة الزرع، ولكن، لا هذه أدّت إلى نتيجة، ولا تلك».

بدا الإستهجان على وجه جوناثان فهزّ رأسه.

«وهل كان بو يشبهك؟». تساءلت لوب. «كان الناس يقولون، إن كلبتي بونيتا، تشبهني».

لمع وجه جوناثان «لا أعتقد ذلك، ولا أحد قال شيئًا من هذا القبيل، على أية حال كان من نوع البوكسر، متعدد الألوان. وماذا حصل لبونيتا؟».

«لا شيء إطلاقًا. إنها في المكسيك».

«مكسيكو؟ إذن أنت من المكسيك». قال جوناثان.

«نعم». قالت لوب وسكتت. لأول مرة، بدا واضحًا أن هناك مواضيع، لا ترغب بالتحدث عنها.

«حيث يعيش والداك؟».

«نعم، ولكن لماذا لم تحاول إقتناء كلبٍ آخر؟».

«لأني غير قادر على الإعتناء به. فأنا بالكاد أستطيع الإعتناء بنفسي».

«وهذا ما تقوله جدتي، كلما طلبت منها السماح لي باقتناء كلبٍ آخر».

«ماذا؟»..

«ومن سيعتني به؟». قالت لوب.

إنزعج جوناثان. «حسنًا، أما بمقدورك الإعتناء به؟».

إنتقلت لوب إلى الرواق، وخرجت فجأةً.

الفصل السادس

بعد ظهر أمس، وفي طريق عودتها إلى البيت، تعمدت لوب المرور في أحد أفخم شوارع المدينة حيث المنازل المثيرة للإعجاب بطوابقها الثلاثة والقناطر وفقًا للطراز الفيكتوري، المطلية باللون الأصفر الباهت، الذي أضاف على جمالها جمالاً. من بين جميع منازل المدينة، كانت هذه هي الأفضل والأجمل بالنسبة إليها.

كلما مرت من هنا، كانت تتعمدُ إبطاء سير دراجتها لتشبع نظرها من رؤية جمال ما ترى، وتتخيل، كيف ستكون حالها، لو أنها تعيش وسط هذا العالم الأقرب إلى السحر والخيال. ساحاتٌ وملاعبُ واسعة، أحواض سباحة تخفيها أسوار من الشجر الباسق الطول الدائم الإخضرار. من خلال نافذة غرفة الجلوس، تستطيع رؤية ما يعجز الشعراء عن وصفه. من السقف تتدلى ثريّا من الكريستال، وعلى الجدار لوحتان

كبيرتان للأم وابنتها تبدوان وكأنهما توأم. حتى الأشياء التي يرميها سكان هذا الحي، هي أفضل بكثير مما تمتلك لوب، من كراسٍ مخلعة، ولعبٍ مهترئة. ولعبة الشطرنج التي ما تزال في علبتها، والتي ما حاولت لوب استعمالها يومًا.

اليوم وفيما هي تقود دراجتها على الطريق الساحلية، رأت أمًّا وابنتها في سيارة سوداء فاخرة تقف إلى جانب الطريق، وصوت الموسيقى يصدح من المذياع. إنها بري ووالدتها التي هي نسخة طبق الأصل عن إبنتها، كلتاهما ترتديان ثيابًا باهظة الثمن ويتدلى شعرهما على شاكلة ذنب الحصان. حدّقت لوب بهما وهي تمرّ بقربهما.

«هل تعرفينها؟». تساءلت الوالدة.

«بالطبع لا». قالت بري «انها تتعلم معي في ذات المدرسة. هذا كل ما في الأمر».

«كثيرًا ما تستكشف هؤلاء الإسبانيات منزلاً ما، للعودة ثانية والدخول إليه عن طريق الكسر والخلع».

بذات سخرية الوالدة أجابت بري «أنا لا أشك في ذلك».

«آمل، أنك لا تتكلمين معها، ولا مع أيٍّ من الفتيات أمثالها، أليس كذلك؟».

بالطبع، «إنها أضحوكة المدرسة يا أمي».

***

عادت لوب إلى شقة جوناثان مع الخضار والفاكهة، إنه عمل صار شبه روتيني بالنسبة لها. تقصّد جوناثان ترك الباب مفتوحًا، وهكذا لا تضطرّ إلى قرع الجرس.

«لست أدري، إن كنت أسبب لكِ الإزعاج». قال جوناثان وهو يهمُّ تسليمها لائحة مشتريات جديدة.

«ليس همًّا، إسمع، بمقدوري أن أفعل كل شيءٍ من التنظيف وشراء الحاجات، وحتى الطبخ إن كنت ترغب بذلك».

«لا شكرًا، فلا أحبُّ أن أُتهم بانتهاك قوانين عمل الأطفال».

«أنا لست طفلة».

استدار جوناثان نحوها. «بالطبع، أنت لست كذلك، فابنة الأحد عشر عامًا هي كبيرة جدًا. أتعرفين كم أبلغ من العمر؟».

«خمسة وخمسون».

فوجيء جوناثان. «وكيف عرفت؟».

«إستقصيت عنك عبر غوغل».

«أنت فعلت ذلك؟ وماذا اكتشفتِ أكثر؟».

«أوه، إكتشفت الكثير، إكتشفت أنك رسّامٌ مشهور».

«كنتُ.... رسّامًا مشهورًا».

«لم يتغيّر شيء». قالت لوب. «إضافةً إلى أنك كنتَ، فستعود وترسم مجدّدًا».

صُعِقَ جوناثان مما يسمع. «وكيف يمكنني ذلك؟ عالمي ظلمةٌ وسواد، إن كنت لا تعرفين ؟».

«في مطلق الأحوال ستعاود الرسم من جديد».

كان هناك قرعٌ على الباب، تبيّن أنها جدة لوب. «لوب نحن بحاجة إليك لمساعدة جدك».

اتجهت لوب نحو الباب.

«إلى اللقاء سيد جوناثان. أراك غدًا».

لوّح جوناثان لها، بيده، لكنه لم يتزحزح من مكانه.

كانت هناك مجموعة من الأعمال الفنية، يستعدُّ لتوقيعها. كلمات لوب «ستعاود الرسم من جديد». كانت أشبه بالمفاجأة، لكنها لم تثر حماسه.

***

شقة آل سالدانا، لم تكن تختلف كثيرًا عن شقة جوناثان، إلا أن هذه مشبعة بروائح من الصعب تحديدها. لكن لوب تعتقد أنها مزيجٌ من رائحة الملابس والجبن المُسال، ورائحة زنبق الوادي، التي تستعملها جدتها بعد الإستحمام. على جدار غرفة المعيشة هناك لوحة واحدة، ليسوع المسيح وجراحه تنزف. إنها لوحة

قديمة، جلبها آل ساندانا معهم من المكسيك، كما أخبرها أحدٌ ذات مرة. غرفة لوب، كانت تشبه زنزانة أكثر مما تشبه غرفة. سريرها محشور في الزاوية، ومغطى بلحاف من صنع اليد. تنزل عن سريرها إلى الرواق مباشرة، ليس لديها أيّ خيارٍ آخر. بدورها غرفة والديها كانت صغيرة جدًّا أيضًا، تحولت اليوم إلى مستودع يحتوي المكنسة الكهربائية، حقائب الثياب والمعدات الطبية.

لوب، ساعدت جدتها في تغيير قنينة الأوكسجين التي يضعها جدها على صدره. كان يجلس على كرسيٍّ متحرك، مغمض العينين، شاحب اللون مرهق الوجه.

«أرجوك دعيني أنا أفعل». قالت لوب، فيما كانت جدتها تحاول جاهدة، إعادة أنابيب التنفس إلى منخريه.

«جدي، يمكنك الآن أن تتنفس، بشكلٍ أفضل. أرجوك تنفّس بعمق، خذْ نفسًا عميقًا». قالت لوب.

«شكرًا حبيبتي». قال بصوت مرتفع تعبيرًا عن الإمتنان، إسترخى على كرسيّه وأخذ من أنفه نفسًا عميقًا.

إنحنت لوب فوقه، وقبّلت جبينه «إحبك يا جدي، وأنت تعرف ذلك. أحبك».

انهمرت الدموع على خديه، حاول مسحها بمنديل كان في يده، لكن لوب كانت أسرع، مسحت دموعه وهي تقول: «لا تبكِ يا جدي ، فلا داعٍ للبكاء».

«أنت ملاكٌ يا لوب. منذ ولادتك والجميع يعرف أنك ملاك».

إبتسمت لوب «هذا ليس ما سمعته من أمي التي قالت إني بكيت السنة الأولى من عمري بأكملها».

«لكنك ما زلتِ ملاكي». قال جدها.

من المطبخ جاء صوت الجدة لوب، «ما رأيك لو تأخذين بعض الطعام للسيد جوناثان؟ لا أعتقد أني شممت رائحة طبخ في منزله. إنه لا يطهو أبدًا، لست أدري كيف بمقدوره العيش وحيدًا».

***

حملت لوب الطعام في وعاء من الألمينيوم ودخلت شقة جوناثان ووضعته على الطاولة.

إستنشق جوناثان الرائحة. «ما هذا؟».

«إنها وجبة عشائك، طهوناها في مطبخنا. أنت لا تأكل ما يجب أن تأكل. إنه طعامٌ مكسيكيٌّ لذيذ وغنيٌّ بالبروتيين».

«حقًّا؟ إذًا هذه هي الرائحة التي تأتيني من ناحيتكم. رائحة البروتيين الشهية. ومما يتكون بالضبط؟».

«مجرد وجبة عادية، ولحم العجل المقلّى بدهنه، والدجاج مع صلصة الهليون والفلفل الحار، وقطعة سمك نيئة مع التوابل».

بدا الإندهاش على وجه جوناثان «كنت أفكّر بطلب بعض رقائق اللحم مع الجبنة. شكرًا على كل حال».

لم تتفوه لوب ولو بكلمة. بالصمت عبّرت عن خيبة أملها.

«سأحاول ذلك لاحقًا». قال جوناثان «لست جائعًا الآن».

«سترميه في القمامة». قالت لوب وهي تضع طبق الطعام أمامه على الطاولة.

«فكرة جيدة».

«إعتقدت أنك أشبه بالرحّالة الذي عرف الكثير من الأمكنة وتناول الطعام من جميع أنحاء العالم».

«نعم كنت أشبه بالرحالة». قال جوناثان. تناول بالشوكة شريحة لحم، كما لو أنها نوع من السموم. وضعها في فمه، ببطءٍ مضغها، ثم تناول شريحةً أخرى. «ماذا قلت لحم البط؟».

«لا... لحم عجل مقليٌّ بدهنه».

«مقليٌّ بدهنه... ما الذي تحاولين فعله، أتحاولين التسبب بنوبةٍ قلبية؟».

«جدي يأكل الكثير منه. فانظر إليه».

«بالطبع هذا ما أريد قوله».

«إنه في الواحدة والسبعين من العمر...» قالت لوب غاضبةً.

«فعلاً... هل هو في الواحدة والسبعين؟ إنه أمر مثيرٌ للإعجاب». لحس أصابعه ثم تابع «ليس سيّئًا».

«حاول تناول السمك النيء».

«لست إدري. أي شيءٍ نيءٍ يثير أعصابي».

«إنه مختلف عن غيره. فعلاً إنه شهيُّ المذاق؟». قالت لوب.

«حسنًا. لقمةٌ واحدة ليس أكثر». أخذ الروبيان الصغير. «أنا أحبّ التوابل» قال وهو يمضغ «من يدري فقد أمرض لمدة أسبوع».

ودون أن ينطق ولو بكلمة، أخذ يتناول الدجاج مع صلصة بالشوكولا. «جورجي وأنا، لم نسافر إلى المكسيك. أنا جدُّ آسف عليّ الإعتذار منه». بدا وكأنه يخاطب نفسه.

خلال خمس دقائق فقط، لم يعد هناك أي طعامٍ في الأطباق.

«شكرًا. كان طعامًا جيّدًا ومثيرًا للإهتمام».

إبتسمت لوب إبتسامة اعتزاز.

«والآن، إسمحي لي بدعوتك لاحقًا إلى المطاعم الفاخرة التي تعوّدت الذهاب إليها، كان ذلك في الماضي».

«لا ضرورة لذلك سيد جوناثان».

«أعرف أنه ليس هناك ضرورة، غير أني مصرٌّ على دعوتك،

وبالطبع سأطلب الإذن من جدّيك. متى تفضلين؟ ما رأيك بيوم الجمعة؟».

«حسنًا سأتباحث بالأمر مع جدتي. لا أعرف إن كانت ستسمح لي».

«ولماذا لا توافق؟».

«الجمعة هو يوم عيد ميلادي».

«رائع، ستبلغين العاشرة؟».

«سأبلغ الثانية عشرة».

«لا أستطيع تذكّر عيد ميلادي الثاني عشر».

«سيقيمون لي حفلاً بسيطًا، ولكن ليس قبل يوم السبت».

«حسنًا، إنه لأمرٌ رائع، إذن يمكنها الذهاب معنا أيضًا».

«لا... إنها لا تحبُّ الأماكن الفاخرة». جمعت لوب حاجياتها واتجهت نحو الباب. «سأخبرك بالأمر».

***

مساء الجمعة، كان جوناثان يقف أمام مدخل البناية، منتظرًا بجانب سيارة الأجرة ومعه وليام السائق الأصلع القصير القامة لكنه ودودٌ ومحبّ.

وأخيرًا ها هي لوب.

نظر وليام إليها وقال: «تبدين جميلة».

استدار جوناثان نحو وليام «فعلاً؟ قل لي بصدق يا وليام، أفعلا تبدو أنيقة؟ ماذا ترتدي؟».

«حسنًا، إنها ترتدي ثوبًا أزرقً تزينه زهور بيضاء، وعلى رأسها ربطة شعر زرقاء بذات لون الثوب. وتنتعل حذاءًا أبيضَ مع العديد من الأشرطة».

جلست لوب في المقعد الخلفي للسيارة، إلى جانب جوناثان «إنه مطعمٌ فاخر أليس كذلك؟ أنا جدُّ متوترة، لم يسبق لي أن زرت هكذا أمكنة».

«دائمًا، كوني إيجابية».

«توقّف عن الإستهزاء بي».

«أنظري إلى نفسك وأنت تتمتعين بالحياة، أوليس هذا ما قلته لي؟».

نظرت لوب إليه مندهشةً «ما كنت أحسبك تصغي إليّ».

«أه.. أصغي إليك!!!» قال جوناثان وتابع «في الحقيقة أنا لا أريد فعل ذلك، ولكن أجبر نفسي أحيانًا».

انحنى إلى الأمام وقال: «فلير دي ليز وليام. لدينا حجزٌ عند السابعة، إذن لنقم بجولةٍ، فالوقت ما يزال مبكرًا».

«لك ذلك سيد جوناثان».

«منذ فقدت بصري، وهو، أي وليام، يتولى أمر ذهابي وإيابي. إنه السائق المفصل لدي». قال جوناثان للوب.

«رائع.. ويقودنا نحن في بعض الأحيان أيضًا». قالت لوبي : «أعتقد أنك سائق عمومي أليس كذلك وليام؟».

«لا.. ليس للعموم، للنخبة فقط، أمثالكم أيضًا».

«سبق لوليام وكان ممثلاً». قال جوناثان بصوتٍ خافت.

«فعلاً كنت كذلك؟».

«قبل مئة عام، قبل أن تولدي».

«وبأية أعمالٍ شاركت؟».

«بعض المسلسلات التلفزيونية مثل الطريق رقم 66 وهاواي زيرو فايف. حكمًا لم تسمعي بأيٍّ منها».

«لا.. من قال ذلك؟ أعرف الكثير عن الإثنين».

ضحك وليام. «أشك بذلك.. شكرًا على مجاملتك، لكنك تكذبين».

سلك وليام طريقًا دائريًا، استغرق نحوًا من ساعة.

فيما كان جوناثان يجلس بهدوء، كانت لوبي تمعن النظر في الحي الصيني، ورصيف ميناء الصيادين، وتلال نوب.

«هناك الكثير من التلال». قالت لنفسها.

المحطة الأخيرة كانت عند شاطىء المحيط.

«أيمكننا الوقوف هنا، ولو لبضعة دقائق؟». قالت لوب.

«بالتأكيد». قال وليام وركن السيارة إلى جانب الطريق.

فتحت لوب باب السيارة ونزلت منها.

«ماذا تفعل؟». قال جوناثان.

«لا شيء، إنها تقف هناك».

«تحدّق بالبعيد».

«يا إلهي.. إنها تنظر إلى المياه».

وأخيرًا ها هي لوب تقف عند شاطىء المحيط وتملأ رئتيها بالهواء الآتي من بعيد.

« لم يسبق لي أن رأيت المحيط من قبل». قالت لوب لنفسها. «رأيته فقط حين كنت في الطائرة وأنظر إلى الأسفل».

جاءت نبرة صوتها، كما لو أنها تبكي.

«حسنًا وليام». قال جوناثان. « لم يعد لدينا متّسعٌ من الوقت. دعونا نذهب لتناول الطعام».

***

كانت أمسية أشبه بواحدة من عجائب الدنيا، أمسية بدأت بتقدم رئيس الطباخين الفرنسيين ليصافح جوناثان باحترام،

ويقودهم جميعًا، عبر غرفة مغطاة بأفخم الأقمشة، جدرانها مزينةٌ بلوحات من الفن الحديث، أطباق من الكريستال على الطاولات. كانت لوب تنظر إلى كل شيءٍ باندهاش، كما ولو أنها في حلم.

.بمجرد جلوسهما في مقصورة خاصة، قال جوناثان «قولي شيئًا».

«لست أدري ما أقول. إنها كتلك التي يقف فيها البابا أو يوضع فيها تمثال لقديس» تعابيرها أضحكت جوناثان.

«هذا كالاماري مع الصلصة الحلوة». قال النادل، وفقا لما طلبت سيد جوناثان.

لم يكن الطبق الوحيد، بل كانت هناك أربعة أطباقٍ أخرى مميزة.

« لم أرَ هذا من قبل». قالت لوبي وهي تحدق بما تراه. «ما هذا، هناك ما يشبه مجسات الأخطبوط، أو العنكبوت».

كلامها أزعج امرأة ثريةً كانت تجلس إلى جانبها وعقد لؤلؤٍ يزيّن عنقها، فنظرت إليهما نظرة احتقار.

«هذا ليس أخطبوط» قال جوناثان. «إنه الحبار أو الصبّيدج».

«حسنًا». قالت لوب وهي تمضغ قطعة منه. لأول مرةٍ تمنّى جوناثان لو بمقدوره رؤية وجهها.

صمتت برهة ثم قالت: «هناك في السلطة، قطع ناعمة ذات لون أخضر فاتح».

«أعطني واحدةً». قال جوناثان.

«إفتح فمك». وما إن فعل حتى أدخلت الشوكة في فمه.

مضغ ببطءٍ «إنها قلوب الأرضي شوكي أو الخرشوف».

«آه، نعم. عرفته إنها نباتات جميلة. ولكن ما هو هذا اللحم الأبيض؟».

«إنه نوع من اللحوم».

«ومن أيّ حيوان؟».

«نوع من لحم العجول الصغيرة السن. وإلى جانبه هناك بروكولي. إنه مفيدٌ لك».

فيما، كانت لوب تنظر باندهاش إلى تلك الوجبة الشهية، بأطباقها الأربعة. كان لدى جوناثان شعور متميز بأنها لم تأكل كل شيء.

«لوب لا أعتقد أنك أكلت رقائق الثوم؟ أين هي؟».

«لدي كيسٌ في حقيبتي. سآخذها إلى البيت – فإن تركناها سيرمونها في سلة القمامة».

«هذا لا يحدث في مكانٍ مثل هذا».

«حسنًا، أنا فعلت ذلك».

«لم تقولي. هل أعجبك الطعام؟».

بنبرة معبّرة عن الإمتان، قالت: «جوناثان، هذا طعام يليق بالملكات. أحببته فعلاً. أنه رائع بالنسبة لي».

«لوب ليس هذا ما أردت سماعه».

«حقيقةً؟ وما تريد؟».

«أريدك أن تقولي ، لقد أستمتعت بهذا الطعام لأني أستحقه! فقوليها».

ابتسمت لوب «حسنًا إستمتعت بهذا الطعام، فأنا أستحقه».

«عيد ميلادٍ سعيد يا لوب».

نظرت إليه لوب، وهي تضحك «شكرًا لك يا جوناثان».

الفصل السابع

بعد ظهر اليوم التالي، كانت لوب تنفض الغبار، فيما كان جوناثان يوضّب الخضار، كانا أشبه بزوجين من الزمن القديم، اعتادا أن يكمّل أحدهما الآخر.

«جلبت مقرمشات القمح بدلاً من الجبنة». قالت لوب «لسببين: الأول أن أسعارها خاضعة للتخفيضات، والثاني وهو الأهم، إنها غنيةٌ بالألياف وهذا مفيدٌ لك».

«شكرًا يا أمي».

«كذلك الأمر بالنسبة للسباغيتي، من القمح الكامل وليس من القمح الأبيض».

«ومنذ متى أصبحت خبيرة تغذية؟».

«في المدرسة نتلقى دروسًا في التغذية». قالت لوب معتزة بنفسها.

«لكنه من المؤسف، فليست هناك أية دروسٍ في الجغرافيا».

عند الإنتهاء من نفض الغبار إلتفتت لوب نحو جوناثان «تركت لك بطاقة دعوةٍ على مكتبك».

«دعوة؟ ولماذا؟».

«سترى..».

«سأرى.. ؟ وهل تتوقعين مني قراءتها؟».

«إنها هنا على المكتب.. حاول، فماذا ستخسر؟».

أمسك جوناثان بطاقة الدعوة، وراح يتفحصها بيديه، فأحسّ أن لوب بذلت جهدًا في تصميمها بحيث يكون لكل حرفٍ نسيج خاص يمكنه أن يشعر به.

«أصممتِ هذه خصّيصًا لي؟».

«نعم.. لتسمعني أنشد ضمن الجوقة».

في البدء بدا جوناثان مرتاحًا، لكن ملامح وجهه تغيرت فجأة: «حسنًا.. أولاً، وكما تعرفين، أنا لا أحب الخروج من هنا.. وثانيًا، أكره غناء الجوقات».

«ولماذا؟». قالت لوب.

«لا تعجبني تعابير وجوه المغنين».

«ولكن... أعتقد أنك لن ترى الوجوه».

«آه... تذكرت، أنا لا أحب تلك الحركات البهلوانية التي يقوم بها قائد الفرقة الموسيقية».

ضحكت لوب بصوتٍ عالٍ: «حسنًا، أعتقد بانك لن تكون قادرًا على رؤية تلكَ الحركات».

«تذكّرت».

«يمكنك الإصغاء إليّ وأنا أغني، ولا شيء سوى ذلك».

«يمكنني سمعاك تغنين هنا. أقسم على ذلك. فلماذا عليّ الجلوس في قاعة الإحتفالات؟».

أخذت لوب تدندن واحدةً من الأغنيات التي ستنشدها.

ومن ثم أتت بالمكنسة الكهربائية وراحت تكنس السجاد.

وضع جوناثان يديه على عينيه وصاح: «إبتعدي أنت وهذه اللعينة من هنا. إنها تسبب ألمًا في رأسي».

إنتقلت إلى غرفة النوم، وفيما كانت ترتب غطاء سرير جوناثان، تبين لها وجود لوحة مخبأةٍ تحته، تأكدت لوب، أن لوحة زوجة جوناثان كانت لرجل.

حدّقت لوب باللوحة، فخطر على بالها، أنه سبق لجدتها وحدثتها عن رجال مثل جوناثان، كان ذلك عند مجيئهما الأول إلى سان فرنسيسكو، حيث كانت لوبي وجدتها

تجلسان وراء زوجين في مترو الأنفاق، وشاهدت الرجل الأصغر ينحني ويقبّل الرجل الأكبر سنًّا على رقبته قبلة حب.

«الحب هو الحب». قالت الجدة: «هذا هو الحال بالنسبة لبعض الناس، ولا يحق لنا لومهم أو إدانتهم، طالما هم لم يتسببوا بأذية أي إنسان آخر».

ابتسمت لوب وقالت: «أعتقد أنهم الأكثر وسامةً ولطفًا».

بدورها ابتسمت الجدة وخاطبت حفيدتها «يبدو الأمر كذلك. ولكن هناك أمثالهما في كل مجالات الحياة، وستتعرفين يومًا ما على واحد منهم».

حدّقت لوب طويلاً في اللوحة، قبل أن تعود إلى غرفة الجلوس، حيث كان جوناثان يجلس إلى مكتبه ويوقع بعضًا من لوحاته المعاد طباعتها.

«سيد جوناثان..».

«ماذا؟».

«أرجوك لا تغضب. ولكن أتذكر لوحة زوجتك؟».

وقف جوناثان في مكانه «وما بها؟».

«كنت أرتب غرفة نومك وانزاح الغطاء عنها دون قصدٍ مني».

عاد جوناثان وجلس مكانه لبرهة، ثم وقف وتوجه نحو غرفة النوم، وتبعته لوب. أزال بقية الغطاء عن اللوحة وجلس على حافة السرير.

كانت اللوحة لشاب وسيم، بهيّ الإطلالة، في العشرينات من عمره، يرتدي سترة أنيقة، وتسريحة شعره تدل على اعتداده بنفسه. في يدٍ يحمل مزمارًا نبيذي اللون، وينظر بطريقة أشبه بذاك الرجل الذي يرقص في لوحة الرقص في فاغابوندا، وفي الخلفية يظهر رجلٌ مسنٌ ينظر إلى البعيد. بشكلٍ عام كانت اللوحة تتميز بالحيوية والغموض في آن.

جلست لوب إلى جانب جوناثان «وما كان اسمه؟».

«جورج، وكنت أناديه جورجي.. كان أفضل صديق». قال والدمعة تكاد تنهمر من عينيه.

هزت لوب رأسها: «وسيم الإطلالة، تعجبني وقفته، يبدو خياليًا».

وساد الصمت لفترة قبل أن تعود لوب إلى التساؤل: «وماذا حدث له؟».

«أضناه المرض ومن ثم مات».

«آه... إنه لأمر مؤسف». إنتظرت لحظةً، ثم عادت إلى التساؤل: «كيف كان يبدو؟».

فرك جوناثان عينيه قبل أن يقول: «كان ينبض بالحياة، مرحًا محبًا، حياتي معه كانت أشبه بمغامرةٍ يومية. موته شكّل لي مفاجأةً كبرى».

«أما تعتقد أنه كان يعرف؟».

هز جوناثان كتفيه. «على أية حال، عندما أصابه المرض، لم تعد هناك متعةٌ ولا مغامرات. كانت نهاية سريعة ورهيبة».

كانت لوب تصغي إليه باهتمام كليٍّ، «حين يكون المنزل مملوءًا بالحب والغناء، فلا يعود هنّاك مجال للمرض. هذا ما تقوله جدتي. ولهذا السبب فجدي يستمع إلى الموسيقى دائمًا».

«لو كنت أعلم هذا السرّ، لكنت وظّفت أهم فرق العزف في العالم». قال جوناثان وهو يتنهد. «أنا متأكدٌ أنه كان سيُحدث ولو فرقًا بسيطًا، بصراحة، ربما كنت حاولت شيئًا من هذا القبيل».

«وأنت هل بكيت؟».

«كفى.. نعم بكيت، غير أني توقفت عن ذلك، على أية حال، كوني على ثقةٍ أني أحببته، وأحبني. آخر ما قاله لي شكرًا لك».

«وأنت ماذا قلت؟».

«لا أتذكّر..».

«لربما قلت، لا شكرَ على ما يجب».

وجاء صوتٌ من بعيد «لوب... لوب».

بدا الإستياء واضحًا على وجه جوناثان، وفجأة ظهرت جدة لوب تقف عند باب شقة جوناثان.

«لوب... حان وقت الذهاب إلى المستشفى». قالت الجدة.

«أكره الذهاب إلى هناك». قالت لوب.

استدار جوناثان نحوها وقال «لماذا على جدك الذهاب إلى هناك؟».

أدارت لوب وجهها نحو الباب الخارجي: «أراك غدًا».

***

عندما دخلت لوب الشقة، وجدت جديها يقفان في البهو، إستعدادًا للمغادرة. «ضعي سترتك على كتفيك لوب. أعرف أنه أمرٌ صعب. فما من أحدٍ منا يحب الذهاب إلى هناك».

دخلت لوب إلى غرفتها، تناول سترة ووضعتها على كتفيها. بصمتٍ غادروا الشقة، حتى وصلوا إلى محطة انتظار الحافلات.

إلتفتت لوب نحو جدها: «لماذا لست على كرسيك المتحرك جدي؟». قالت وهي ترتب له ياقة قميصه.

«إنها تسبب لي الكثير من المتاعب في الحافلة».

عندما وصلوا إلى المستشفى، وجدوا الكثير من المرضى ينتظرون دورهم. مكيّف الهواء معطّلٌ وكذلك نوافير المياه، مما جعل الكلَّ يشكو ويتذمر.

بعد حصولهم على الملف الطبي، كان عليهم الإنتقال إلى قاعة كبيرةٍ أخرى، مزدحمة بالمرضى أيضًا، وأكثر سخونةً من الأولى. كان هناك عشرات العائلات، بعضها يتكلم الإسبانية، والبعض الآخر يتكلم لغاتٍ غريبةً.

هناك رجلٌ وضع رأسه بين يديه. العديد من الأطفال يبكون رغم أنهم بين أذرع أمهاتهم لكنهم، من شدة الألم أو لربما من الخوف.

«متى سيأتي دورنا؟». سألت فتاة صغيرة والدتها، إلا أن الوالدة هزت رأسها وهي تقول «لست أدري يا حبيبتي».

حوّلت لوب نظرها نحو آلة البيع، وراحت تتخيّل، ما سوف تشتريه، لو كانت تملك كل العالم. لكن حتى آلة البيع هنا، لم تكن تغري الراغبين بالشراء. ليس فيها إلا المشروبات الغازية وبضعة ألواح شوكولا سائلة بسبب ارتفاع الحرارة.

جدّاها شعرا بالنعاس، فراح رأساهما يتمايلان نحو لوب التي أغمضت عينيها وهي تدندن « أنا أحب نفسي، لذا

فأنا أعيش كليًا في الآن، وأختبر كل لحظة جيدة من لحظات عمري، وأعرف أن مستقبلي هو مشرقٌ وآمن».

عندما أستدعت الممرضة الجدين، استفاقا فورًا من غفوتهما. وتوجهوا جميعًا نحو المكتب حيث تم إدخال كل المعلومات المطلوبة في الكمبيوتر. شعرت لوب كما لو أنهم أمام عملية ستتكرر مئات المرّات، وتساءلت، عن سبب وجود الحواسيب إذن، إذا كان علينا الإجابة على ذات الأسئلة كل مرة؟ لكن جديها لم يبديا أي إنزعاج. تناولت الجدة، دفترًا صغيرًا من حقيبتها، وزودت الممرضة بكل البيانات المطلوبة دون أي تذمّر. أُعجبت لوب بتصرّف جدتها، التي لم يظهر عليها أية إشارات غضب أو توتر.

وحين حان وقت دخول عيادة الطبيب تساءلت الممرضة «هل ستدخلون ثلاثتكم معًا؟».

«نعم» قالت الجدة. «كلنا... نعم».

الفصل الثامن

حشدٌ من الآباء والأجداد، يجلسون على مقاعدهم في قاعة احتفالات المدرسة. جدة لوب جالسةٌ في الصف الأمامي، وترتدي قبعةً على رأسها زهرية اللون. موكب طويل من الفتيات ـ كل واحدة هي طبق الأصل عن الأخرى ـ يصعدن إلى خشبة المسرح، بثيابهن الداكنة والياقة البيضاء. عند صعود لوب صفّقت السيدة ساندانا بقوة.

شعرها الطويل، يلتفّ حول عنقها ويغطّي جزءًا من وجهها.

حاولت لوب الوقوف إلى جانب زميلاتها المنشدات، لكن أنصار بري إبتعدن عنها، جاعلين مسافة مرئيةً بينهن وبينها، وكأنها فتاة موبوءة. كان التوتر باديًا على وجه لوب، وحتى تلك الإبتسامة التي كانت تتصنعها، غابت عن شفتيها. بدا واضحًا أنها كانت تبحث عن شخصٍ ما بين الحضور.

قائدة الجوقة، راهبة طويلة القامة، انحنت تحية لجموع المشاهدين، ثم استدارت نحو الفتيات ورفعت ذراعيها معلنةً بدء إنشاد «الرب قديرٌ». وارتفع صوت لوب من بين جميع الأصوات. صوت سوبرانيٍّ مميز، مخارج الحروف واضحة جذب إنتباه الجميع. عند نهاية الأغنية، نظرت الفتيات إليها نظرة إزدراء، لكنها تجاهلت فعلتهن وحافظت على إبتسامتها المشرقة.

مع بداية الأغنية الثانية، دخل رجلٌ يرتدي قبعةً وثيابًا سوداء وجلس على واحدٍ من المقاعد الخلفية، بدا جليًا أنه أعمى.

أثناء إنشاد الأغنيتين التاليتين، كان جوناثان يجلس مستقيم الظهر، يصغي باهتمام لصوت لوب البارز بوضوح من بين جميع الأصوات. كان صوتها يشبه رنين جرس كاتدرائية جميع القديسين.

عند إنتهاء الكورس من الغناء، أدت الراهبة بعصاها تلك الحركة الإنسيابية، تذكرت لوب ما قاله جوناثان فابتسمت. في الصف الخلفي بعض الفوضى. لقد اختفى الرجل الذي يرتدي الثياب السوداء، لقد خرج من القاعة.

***

لحظة كانت لوب تدخل الشقة بعد ظهر اليوم التالي، كان جوناثان يختتم مكالمة هاتفية. بدا غاضبًا وهو يقول: «حسنًا... اتفقنا».

أعاد سمّاعة الهاتف إلى مكانها ووضع رأسه بين يديه.

«ما الخطب؟». قالت لوب.

«أمي ستكون هنا مطلع الأسبوع، إنها في طريقها إلى هاواي، وأصرت على زيارتي».

مكتبة
t.me/t_pdf

«خبرٌ جيّد، أليس كذلك؟».

«لا... إنه ليس جيّدًا، منذ زمن بعيد لم أرها، فعلت ذلك لسببٍ ما».

«حسنًا... وما هو هذا السبب؟».

«إنها تثير أعصابي... أيكفيك هذا السبب؟ إنها كتلة من السلبيات».

«وماذا عن والدك؟».

«لا يحب مرافقتها أبدًا. يُسعده أن تتركه بمفرده. لا أعرف إذا كنت أستطيع أخذها إلى أي مكان، فعلاً إنها امرأةٌ رهيبة. إنها ما تزال تحاول تزويجي واحدةً من بنات صديقاتها».

«سأساعك في الترفيه عنها».

ضحك جوناثان. «رائع وشكرًا، لكنها إنسانة متعالية، أما قلت لك ذلك؟ ستعاملك كخادمة».

«لا أمانع، ففي النهاية، بشكلٍ أو بآخر، أنا خادمة».

«لا تقولي هذا... أنت لست خادمة... أنت...».

«صديقة؟ هل هذا صعب عليك قوله؟».

«لا... أبدًا ليس صعبًا أبدًا... أنت فعلاً صديقتي».

«في أي يومٍ ستأتي؟».

مرةً أخرى، وضع جونثان رأسه بين يديه «يوم الخميس».

«في هذا اليوم يحتفل جماعة نادي البينغو بعيد الأجداد. سأساعدك».

«جماعة نادي البينغو؟».

«نعم. جميع كبار السن في الحيّ يلتقون ويلعبون البينغو». قالت وهي تخرج من الشقة.

***

يوم الخميس كان جوناثان يزرع أرض غرفة الجلوس ذهابًا وإيابًا أمام نافذته المطلة على مدخل البناية. «لوب... أسمع صوت أحدٍ ما، تعالَيْ والقي نظرةً».

نظرت لوب من النافذة. «إنها سيارة أجرة... لكنها ليست والدتك».

«وكيف عرفت أنها ليست والدتي؟».

«إنها امرأة، نحيلة، ترتدي نوعًا من الفراء، ويبدو أنها تتجادل مع السائق».

«يا إلهي... إنها هي...» إلتفت نحو لوب وقال: «لا

أستطيع وصف القلق الذي ينتابني. هذه هي... إنها أمي».

«للأمهات تأثير قويٌّ».

«كيف لك معرفة ذلك وأنت في الحادية عشر من عمرك؟».

أصدرت لوب صوتًا يشبه رنين الجرس. «أنا الآن في الثانية عشرة».

معًا كانا واقفين يصغيان إلى وقع الكعب العالي، يصعد الدرج. فتحت لوب باب الشقة بانتظار وصول والدة جوناثان. وأخيرًا وصلت ، وقفت عند المدخل وهي تلهث. «يا إلهي ألا يوجد مصعد؟ يا لها من مفجأة».

أخذت نفسًا عميقًا، وهي تدخل الشقة. من النظرة الأولى إستشفت لوب أنها من عمر جدتها، مع فارق أن وجهها ما يزال مشرقًا نضرًا.

«أهذا هو ولدي؟ أهذا هو ولدي الضرير؟».

هرعت نحو جوناثان، أخذته بين ذراعيها، وأدخلته إلى الشقة. أجهشت بالبكاء «كيف حدث هذا؟ كيف يمكن أن تفقد نظرك وأنت ما تزال صغير السن؟».

كان التاثر واضحًا على وجه جوناثان. ربّت على كتفيها وهو يبتعد عنها. «كان ذلك منذ زمن بعيد يا أمي. لقد تعودت على ما أنا فيه».

«حسنًا... لم يكن مسموحًا لي برؤيتك إنما ها أنا الآن أمامك وجهًا لوجه». فجأة توقفت دموعها، واستدارت نحو لوب، «أهذه هي خادمتك؟».

«كما قلت لك». قال جوناثان للوب. «لا... هذه ليست خادمتي، بل هي صديقتي لوب. إنها أفضل مساعدة لي».

«صديقة؟ إنها طفلة. أتمنى ألا تكون على علاقة غير لائقة معها».

«لا يا أمي.. بالطبع لا.. إلا إذا كان تنظيف الشقة وترتيبها هو عمل غير لائق بنظرك. تعالي واجلسي قربي».

أجالت بيللي النظر في الشقة. بدت جد منزعجة. «هذه شقةٌ صغيرة... صغيرةٌ جدًّا».

«إنها تناسبني. هل أحضر لك شيئًا؟ لوب إجلبي شيئًا شهيًّا لوالدتي».

بحذرٍ جلست بيللي على الأريكة. «هل لي ببعض الماء؟ إني أراقب وزني».

جلس جوناثان قبالتها. «حسنًا. كيف حالك؟ وكيف حال والدي؟».

«لو كان الأمر يهمك، لكنت اتصلت بنا وسألت عن حالنا».

«كان لدي العديد من المشاكل التي عليّ حلّها».

«نعم. أستطيع تصور ذلك. وكيف حال صديقك ـ صديقك جورجي؟».

«لقد مات.. كان ذلك قبل عام تقريبًا. كل أصدقائي ماتوا واحدًا بعد الآخر وفي نفس الوقتً تقريبًا».

إرتجفت بيللي. «بسبب ذاك الفيروس الشنيع، الذي أخبرتنا عنه الذي أوصلك إلى هذه الحال من العزلة».

تدخلت لوب «للسيد جوناثان العديد من الأصدقاء في هذه البناية. واليوم سسيجتمعون معًا في القاعة المجاورة». فتحت الباب واندفعت خارجة نحو باب شقة جديها، التي كانت تغصّ بالعديد من كبار السن، يجلسون على مقاعد قابلة للطي ويلعبون البينغو.

تطلعت بيللي، «هؤلاء هم أصدقاؤك؟ إنهم عجزة يتحدثون الإسبانية. إذن أنت تعيش مع الأطفال وكبار السن والمهاجرين غير الشرعيين؟».

كان جوناثان يحدق في الأرض والغضب الزائد باد على وجهه، لم يسبق للوب أن رأته في هذه الحال.

على الرغم من اشمئزازها، أكلت ما يزيد عن نصف الحلوى التي أحضرتها لوب، دون توقف عن التكلم. «سارة إيفانز أتذكرها؟ إنها واحدة من الأصدقاء الأوفياء، أكتشفت

مؤخرًا أنها مصابة بسرطان الدماغ، ومن النوع غير القابل للشفاء كما أعتقد».

«نعم أتذكرها، لقد خضعت لعدة عمليات تجميل حتى في أذنيها».

«عليك أن تراها الآن. لقد فقدت جفونها بسبب هذا العلاج الجديد الذي تخضع له».

«الأهمّ كيف حال قلب أبي؟».

هزت بيللي رأسها تذمّرًا. «ليس على ما يرام. إنه لا يستطيع السيطرة على شهيته، يتناول الكثير من الأطعمة الغنية بالدهون. إنه في الخامسة والثمانين من العمر ، أوضح له الطبيب حالته، لكنه يرفض التقيد بتعليمات الأطباء، فهل بمقدوري إجباره على ذلك؟ إنه عنيد مثلك تمامًا. لا أعرف شيئًا عن أختك. إنها فتاة ناكرة للجميل. ليتنا لم ننفق على تعليمها ولو دولارًا واحدًا. لم أكن أتوقع منكما إلا كل الإحترام والتقدير. وأنت كم أنفقنا على تعليمك؟ كان بمقدورنا أن نكون من أصحاب الملايين، لكننا فعلنا ما فعلناه إكرامًا لك ولشقيقتك. وها هي النتيجة، نكرانٌ للجميل».

تنهد جوناثان. «أعتقد أن الرسوم الدراسية التي دفعتماها لكلية الفنون، قد أعطت ثمارها».

«هذا من وجهة نظرك». قالت والدته معبرةً عن تذمّرها.

قاطعتها لوب «السيد جوناثان رسامٌ مشهورٌ للغاية».

«حسنًا، ولكني لا أعرف أحدًا يعرف عنه ولا عن فنه شيئًا». قالت بيللي وهي تنظر إلى لوب نظرة شكٍّ واستفسار. «أمتاكدة أنت أن لا علاقة غير لائقة بينكما؟».

«سيد جوناثان، ماذا تعني والدتك بقولها غير لائقة؟». قالت لوب.

«في مثل هذه الحال، فهذا يعني أني معتوه أو مخبول» قال جوناثان، ثم أدار رأسه نحو أمه وقال: «أمي.. أتعرفين كم من الوقت مضى على لقائنا لآخر مرة؟».

«لا أدري... أعتقد منذ سنوات عديدة». قالت بيللي بصوت عالٍ.

«حسنًا.. يبدو أن كل هذه المدّة لم تكن طويلةً بما فيه الكفاية يا أمي».

كالعادة لم تبدي بيللي أيّ تعاطفٍ مع إبنها.

«سمحتُ لك بزيارتي وأنا غير مقتنع بصوابية ما فعلته. أعتقد أنه كان لدي الحق بتجنب مثل هذه المواجهة... أنت إنسانة لا تعرفين غير السلبيات. وأنا غير قادرٍ على تحمل تبعات طاقتك السلبية هذه بعد الآن».

«طاقتي سلبية؟ حسنًا، أنا جدُّ آسفة فما تعودتُ إلا أن أكون أنا.. أنا نفسي».

«أعلم من أنت وطريقة تفكيرك، لذا فأنا وأنت يستحيل أن نكون متوافقين. لذلك أرجوك الإكتفاء بما جرى، أنا أطلب منك المغادرة».

«أغادر؟ أجادٌّ أنت فيما تقول؟ طائرتي لن تقلع قبل ساعات، فماذا عساي أفعل؟».

«نعم... أنا جادٌّ بما أقول. هناك مركزٌ تجاري بالقرب من هنا ، يمكنك تمضية بعض الوقت فيه».

فتحت بيللي فمها، ثم عادت وأغلقته. إلتقطت حقيبتها، وقفت وأخذت تجيل النظر في الشقة من جديد. «حذّرني والدك، من أن هذه الزيارة غير مناسبة على الإطلاق. يا ليتني سمعت منه. رغم هذا فلن أطلعه عن مدى الحقارة التي وصلت إليها، لأنه لن يصدّقَ».

«أخبريه ما شئت يا أمي، إنه الإنسان الوحيد الذي كنت أرغب برؤيته. سأطلب لك سيارة أجرة».

«لا تزعج نفسك أكثر».

«لوب... هل من الممكن مساعدة والدتي وهي تخرج؟».

«لست بحاجة لمساعدة أيٍّ منكما». قالت وهي ترمق لوب بعينيها.

خرجت وأغلقت الباب خلفها بقوة.

«هولا..». صاح أحد لاعبي البينغو فيما كانت هي تخرج من شقة ابنها.

«هولا.. ؟ ؟ ما أُهنت بحياتي بقدر ما أُهنتُ اليوم» قالت السيدة بيللي.

وقف جوناثان قرب النافذة يُصغي إلى وقع أقدامها يبتعد شيئًا فشيئًا.

إقتربت لوب منه «هل أنت بخير سيد جوناثان؟»..

« لم أكن أعتقد أنه من الممكن أن تكون أسوأ مما كنت أتذكر، لكنها كذلك. كنت أتمنى لو لم تكن كذلك، حتى أفسح لها مكانًا في قلبي وحياتي».

«لديها بعض الإيجابيات على ما أعتقد». قالت لوب بصوتٍ منخفض.

«سمّي واحدةً من هذه الإيجابيات».

صمتت لوب لبعض الوقت «تحمل محفظةً أنيقة، وكذلك حذاؤها».

ضحك جوناثان «لوب أعتقد أنه ربما عليك أن تتركيني وحيدًا لبعض الوقت».

غادرت لوب الشقة دون أن تتفوه ولو بكلمة، وبهدوءٍ أغلقت الباب وراءها.

الفصل التاسع

في اليوم التالي، وعند عودته من زيارته الدورية للطبيب، سمع موسيقى السالسا تنبعث من إحدى نوافذ الطوابق العليا. بهدوءٍ صعد الدرج، وعند مدخل شقته توقف، ليتأكد أن شقةسالداناس ليست هي مصدر الموسيقى كما كان يفترض. لم يكن باب شقته مغلقًا، فدخل بهدوء، سمع وقع أقدام.

«لوب... ما الذي يحث هنا؟».

أخفضت لوب صوت الموسيقى. «آسفة سيد جوناثان، ما كنت أعتقد أنك ستعود باكرًا إلى المنزل. لقد كنت أستخدم الموسيقى للتخلص من الطاقات السلبية وغير المفيدة. أو لم أخبرك بما تقوله جدتي عن الموسيقى والحب؟».

«وماذا قالت جدتك عن المرضى ومعاناتهم؟».

«لم تقل لي شيئًا. المهم كيف كان موعدك مع الطبيب؟».

«لا شيءَ جديدًا، الأمور هي ذاتها».

«لا... أرى أنك في تحسّنٍ. هذا هو شعوري».

«أنت لا تعرفين شيئًا عن معاناتي».

«مخطئٌ أنت».

أعادت لوب تشغيل الموسيقى، إنما ليس بصوتٍ عالٍ كما كان من قبل.

«لوب؟ ؟ ؟».

«أنت كسولٌ لا تقوم بالتمارين الضرورية.. هيّا دعنا نرقص. مجرد رقصة قصيرة. إتبعني».أمسكت يده وراحت تدور به في الغرفة. «أنا سأقودك.. كل ما عليك هو أن تتبعني».

«لوب أنا لا أرى... ولا يمكنني مجاراتك في الرقص».

«حسنًا..بمجرد أن تمسك يدي، تكون قادرًا على الشعور بما أفعل».

«أشعر بما تفعلين؟ أنت تثيرين جنوني».

لوب لم تترك يد جوناثان و لم تتوقف عن مراقصته.

«أشعر وكاني على كتف سحابة غيم».

«ماذا؟ ؟ ؟».

«دعك. ليس همًّا».

بدا أن الأغنية ستبقى إلى الأبد، ولكن ما إن انتهت، حتى أفلت جوناثان يده من بين يدي لوب. «لقد أتعبتني وأنا أدور حولك».

«هناك مقطوعةٌ أخرى». قالت. ولكن سأغير نوع الموسيقى، «سنستمع إلى التشاتشا».

من جديدٍ أمسكت لوب يده، ومن جديدٍ راحت تراقصه.

«كانت الموسيقى الأحبّ إلى قلب جورج، لطالما حاول جعلي أرقص معه على إيقاعها».

«يعني..». قالت لوب وتابعت: «لم تكن تحب الرقص أيام كنت ما تزال ترى وتبصر».

«ليس كذلك تمامًا، إنما لم أكن أحب الإختلاط الزائد».

«ولكن ما العيب أو الخطأ في ذلك؟». قالت لوب وهي تلهث. «الرقص تمرين مفيد لجسدك ولروحك أيضًا».

وانفتح باب الشقة. الجدة والعديد من الجيران يقفون في القاعة يشاهدون ما يجري. وما أن إنتهت الرقصة، حتى علت موجة من التصفيق. مما آثار دهشة جوناثان.

« لم أكن أعلم أن هناك مشاهدين، في المرة القادمة سنضطر إلى فرض رسم مشاهدة».

ضحكت لوب. «الجوّ حارٌّ هنا... من الأفضل أن أذهب الآن».

في وقتٍ لاحقٍ من الأسبوع، رن جرس الباب، فاعتقد جوناثان أنه رجل التسليم، ولكن ما إن فتح الباب، تجمّد مكانه، وساد صمتٌ للفترة ليست بطويلةٍ جدًا.

«كارلا؟ ؟ ؟ يا له من أسبوع عائلي؟».

«ظننتك أعمى، فكيف عرفت من أكون؟».

«إنها رائحة العائلة.. أمي كانت هنا في وقتٍ سابقٍ من هذا الأسبوع، مما يعني، أن الرائحة ما تزال حيّةً في أنفي».

«عرفت... لقد اتصلت بي وأخبرتني... كانت مصابةً بنوبةٍ من الهستريا».

«ومن معك هنا؟».

«يا الهي كيف عرفت أن هناك أحدًا معي؟». ابتسمت كارلا «إبن أختك، إنه رودني...» إلتفت نحو إبنها «رودني هذا هو أخي».

« لم أكن أعرف أن لديك أولادًا».

«إثنان. هذا رودني والآخر تيدي يتابع دراسته الجامعية».

أمسك جوناثان يد شقيقته. مضت بضعة دقائق وهما كذلك، والإبتسامة على ثغريهما.

«إني سعيد جدًّا بلقائك. أنت وحدك من بين كل الكائنات التي تشاركني حمل ذات الحمض النووي».

«أيمكننا الدخول؟». قالت كارلا.

«بالطبع يمكنكما».

دخلا معًا إلى غرفة الجلوس، يده ما تزال ممسكة بيد كارلا.

«إذن؟». قالت كارلا.

«إذن ماذا ؟ ما سبب مجيئك؟».

«الشوق إليك... الشوق الذي زاد بعد سماعي أمي تتحدث عنك. صدّقني أخي كنت دائمة التفكير فيك، كأخ وكإنسانٍ ناجحٍ. ولكن ما قالته أمي أخافني، خاصة بالنسبة لظروفك».

«تقصدين أني لا أرى؟».

«نعم..».

«إنها الحقيقة. يمكنك القول إني أعيش وحيدًا. أنا سعيدٌ جدًا لمجيئك. أخبريني كارلا عن حالك. لقد مضى زمن دون أن نلتقي. فاخبريني كيف أمضيت تلك الأيام».

«ليس من شيءٍ مهمٍّ فوق العادة. لقد تزوجت ورزقت ولدين، ثم تطلقت. إنها حكاية طويلة ومملة».

«كم عمرك رودني؟».

«تسعة عشر عامًا».

«الحقيقة، أعتقدت أنه من الأفضل له أن يلتقي بك. في الواقع، إنه يذكّرني بك كثيرًا. يحب تصميم الأزياء ومولع بالرسم، وأنا لست قادرة على مساعدته في هذا المجال».

«وماذا عن والده؟».

ضحكت كارلا وهي تلوح بيدها، لكنها تذكرت أنه لا يستطيع رؤيتها «كان رياضيًا، بالمختصر، مع الأيام لم يعد بيننا أي إنسجام، فكان لا بد من الطلاق، أعتقد أني أتحمل القدر الأكبر من المسؤولية. لم أكن رومانسية كما يحبني أن أكون».

احمرّ وجه رودني خجلاً فأحنى رأسه وراح ينظر إلى حذائه.

«رودني... لدي العديد من الكتب عن تصميم الأزياء، يمكنك إستعارة أي كتابٍ تريد».

رودني شكرَ خاله بصوت منخفض. بدا مرتبكًا بعض الشيء

«لماذا لا تلقي نظرة؟ ربما هناك أشياء تثير اهتمامك».

نهض رودني ووقف أمام المكتبة مشدوهًا.

«الحقيقة يا جوناثان، علاقتي بأمي ليست مثل علاقة إبنةٍ بأمها. لم تكن راضية عن طلاقي واعتبرته نوعًا من الخزي والعار لحق بها. مشكلتها أنها تعتبرنا أعداءها وتتصرف على

هذا الأساس. أنا اليوم في الواحدة والخمسين من العمر، ووحدك القريب مني».

«تعرفين، صوتك يا كارلا يذكرني بصوت العمة مارغريت».

«يا إلهي؟ ؟ ؟ فعلاً؟».

«فعلاً إنه لأمرٌ غريب. فكما تعلمين، في ذاكرتي صورة لك منذ كنا صغارًا، يوم ألبستك والدتك حلة بحّار سويسري وحذاءً جلديًا، كان ذلك بمناسبة عيد الفصح».

ضحكت كارلا، «هكذا كانت وما تزال... الويل لمن يعصى لها أمرًا».

«أرغب بملامسة وجنتيك، أتمانعين؟».

«لا أبدًا أنت أخي الوحيد يا جوناثان».

مرر جوناثان راحة يده على وجه شقيقته.

«لقد جاوزت الخمسين يا جوناثان».

«أدري... وأنا أيضًا تقدمت في العمر».

«في الواقع، تبدو أفضل مما كنت أتوقع».

«شكرًا». قال جوناثان.

«هكذا... بودي لو نكون على علاقة انسجام ووئام. إذا كنت مهتمًّا بالأمر. أعني أن نبقى على تواصلٍ من حين لآخر.

سأغادر بعد عشرين دقيقة ليس أكثر».

«إعتقدت أنك تقيمين في سياتل؟».

ضحكت كارلا «كان ذلك منذ سنوات».

تنهد جوناثان «لا شك أنك تعرفين، أني أتمنى ذلك. لا أنكر أني لم أكن يومًا على توافقٍ مع والدتي، الحقيقة بودي لو أرى أبي».

«ربما يمكنني ترتيب مثل هذا اللقاء».

«سأكون لك شاكرًا جدًا». وفجأة اغرورقت عينا جوناثان بالدموع «أنا.».

«عفوًا.. لم أقصد إغضابك».

«حسنًا..».

إلتفت رودني، فرأى الدموع في عيني خاله. «ما الذي حدث؟».

وقفت كارلا. «لا شيءَ لقد انفعل خالك عاطفيًا». وقفت كارلا ومسحت بضعة دموع عن خديها. «أعتقد أنه علينا أن نرحل الآن. هل بإمكاني الحصول على رقم هاتفك؟».

«بالتأكيد يمكنك ذلك».

كتبت كارلا رقم الهاتف، عانقت جوناثان «سأتصل بك من حينٍ لآخر. لقد سررت جدًا بلقائك».

«وأنا أيضًا... كنت سعيدًا جدًا. رودني، تعالَ مرةً أخرى، ومتى شئت».

ما إن رحلا حتى وصلت لوب.

«من هم هؤلاء يا جوناثان؟».

«شقيقتي وابنها».

«حقًّا... ؟».

«وهل كنت سعيدا بلقائها؟».

«نعم. بالتأكيد. لست أدري لماذا كنت سعيدًا جدًّا وأتمنى لو تزورني ثانية».

«لقد جلبت كل ما أوصيتني عليه، الشاي والكعك..».

قاطعها متسائلاً: «الكعك؟ أي نوع من الكعك؟».

«النوع الذي تعودت شراءه بناء لنصيحتك».

«حسنًا وشكرًا لك».

بعد خمسة عشر دقيقة، كان جوناثان ولوب يجلسان إلى طاولة الطعام يرتشفان الشاي. الطاولة كانت مغطاةً بغطاء من الكتان الذي كوته لوب قبل قليل. المناديل مطوية ومنشّاة، مجموعة من أكواب الشاي المصنوعة من البورسلين الصيني، موشّاة بالذهب وتزينها زهور زرقاء اللون... في وسط الطاولة مزهرية فاخرة ملأى بالزهور المتناسقة الألون. لوب في حركة

خروج ودخول إلى الغرفة ، وتبدي إعجابها بما ترى.

«إنه منظر في غاية الجمال. أشعر أنه ينبغي علينا عدم استخدامه، حفاظا على جماليته. وبودّي لو كنت ترى».

«أستطيع أن أرى كل هذا ذهنيًا، أوليس هذا ما تقولينه دائمًا؟ أستطيع ذلك لأنه سبق لي ورأيته عدة مرات قبل أن أُصاب بالعمى».

***

جوناثان، كان يسكب الشاي بحذر شديد، فيما كانت لوب تمكنه من الوصول إلى الأشياء التي يحتاجها.

«وكم مكعب سكّر تريدين؟».

«إثنان؟ لم يسبق لي أن شربت هذا النوع من الشاي. فقط كنت أشرب الشاي المثلّح».

«يستحيل عليّ تصديق ما تقولين.. على أية حالٍ، جورجي كان يضع مكعبين، أو ثلاثةً أحيانًا».

توقف جوناثان عن الكلام لبضعة ثوانٍ ثم تنهد وهو يقول: «هاتي حدثيني عن ذاك الفستان الذي تخططين لارتدائه عند بلوغك الخامسة عشر، ما اسمه؟».

«كوانسينيرا..».

«حسنًا حدثيني عنه، صفيه لي».

«تأكد. أنا أعرف ماذا أريد وما أحلم به. أولاً لا أحب الفساتين بدون أكمام، أو العارية الصدر، أحبه أن يكون من الساتان أو الشيفون مع صِدار مطرز».

«وما هو الصِدار هذا... ؟».

بدا الإنزعاج على وجه لوب «أفعلاً أنت لا تعرف ما هو الصِدار؟ إنه ثوب سميك بلا كمين يغطي الصدر ويُلبس عادة فوق قميص أوفستان ويمتد من الخصر حتى الكتف. حتى الآن ما زلت غير متأكدة من لون القماش، إنما أُفضله أقرب إلى ألوان فساتين الزفاف».

«لدي صديقٌ يملك متجرًا للأقمشة، اعتدت الشراء من عنده، يوم كنت أعمل في الخياطة. إنه يستورد الأقمشة من جميع أنحاء العالم. يمكننا زيارته وقت تشائين».

«فعلاً؟... ومتى. ؟».

«يوم تريدين..».

«ما رأيك لو نذهب غدًا؟».

«بالتأكيد يمكننا ذلك.. ولكن ماذا لو تغيرت المفاهيم خلال هذه السنوات الثلاث؟».

«الكوانسينيرا، لا يتغير ابدًا. حتى أن بعض الفتيات يرتدين التيارا».

«التيارا؟... وما هو هذا أيضًا؟».

«إنه عبارة عن نوع من أنواع التيجان المزخرفة أو المزينة بالمجوهرات. وتُرتدى في المناسبات الرسمية ، خاصة عندما يستلزم الأمر ارتداء ملابس السهرة».

«تاج؟... هذا مبتذل».

ابتسمت لوب. «حتى الآن لست متاكدةً أيضًا من ضرورة وضع غطاء الرأس، أتعتقد أنه ضروري؟».

«لا أعتقد ذلك». قال جوناثان. «غطاء الرأس هو أشبه بحجاب يخفي ما وراءه، لكنك جميلة، سبق لي وقلت ذلك... أنت جميلة».

«أنت الإنسان الوحيد الذي يقول ذلك. الفتيات في المدرسة، ولا سيما التي تُدعى بري، يعاملنني وكأنني قبيحة».

«لا شكّ إنها إنسانة تافهة. صفيها لي».

«حسنًا، فعلاً تبدو رائعة، ولكل الزميلات خاصةً. شقراء الشعر، طويلة القامة، شعرها ينسدل على كتفيها على شكل ذيل حصان، أنفها صغيرٌ ومرفوع، يشبه..».

قاطعها جوناثان: «يشبه أنف الخنزير».

«لا إنه جميلٌ فعلاً. بشرتها نضرة لماعة حتى في غياب ضوء الشمس، تلبس هي وأمها ذات الألوان والموديلات. تنانير

قصيرة ضيّقة عند الخصر. إضافة إلى أنها غنية».

«أكرههما معًا، تبدوان مرعبتان».

«ولكن لست أدري لماذا أنا مقتنعة أننا سنكون أصدقاء يومًا ما».

«ولماذا هذا الإقتناع؟».

«لست أدري.. كلما أغمضت عينيّ، ترودني صورتنا معًا كصديقتين».

«وتعتقدين أن هذا سيحدث؟».

«أعتقد ذلك..».

«لست أدري، لماذا تزعجين نفسك بالتفكير بواحدة مثل بري هذه. أراهن أنك أجمل منها بكثير.. وكما يقولون أنت جميلة الجميلات».

ضحكت لوب.

«أعني لستِ جميلةً وحسب، بل وجذابةٌ ساحرة».

إبتسمت لوب: «أحب ارتشاف الشاي».

«أتعرفين من اعتاد على النظر إلينا، حين كنا أنا وجورجي نشرب الشاي؟ بو».

«كلبك؟».

هزّ جوناثان رأسه موافقًا.

«وهل إحتفظت به بعد وفاة صديقك؟».

«توفي بعده بثلاثة أشهر، كان مقرّبًا جدًّا منه، حتى أنه امتنع عن تناول الطعام، ومن ثم عن الخروج من غرفته، وبعد وقت قصير، رحل هو الآخر، رحل، مثله مثل كل أصدقائي. يوم وفاته كان أبشع يوم في حياتي، ومنذ ذلك الحين وأنا أنتظر دوري».

«كلهم رحلوا. أصدقائي، كلبي، نظري، ومهنتي. كل شيءٍ ضاع مني، ولم يبقَ لي إلا مجموعة أكواب الشاي هذه، والتي منذ سنوات لم أستخدمها. وأنا ما زلت أجني المال من مطبوعاتي، فشكرًا لله».

«أما تزال ترسم ولو ذهنيًا؟». تساءلت لوب.

«وماذا تعنين بقولك هذا؟».

«أعني... أما زلت تتخيل صورًا ما؟».

«لا. لا أرى شيئًا في ذهني».

«قد تكون هذه هي المشكلة. مشكلتك؟».

قاطعها جوناثان «تظلمينني؟ أعرف أني مخطئٌ، أعرف ذلك. ولهذا السبب فانا أعمى، فوق هذا، أفترض..».

«لا تقلْ شيئًا كهذه الترهات. فالهواء، يسمع ما نقوله».

«من أين تأتين بهذه الأفكار الخلاقة؟».

تجاهلت لوب ما يقوله جوناثان وانحنت نحو الأمام.

«هناك في هذا الكون، جزيئات صغيرة، وعندما نقول شيئًا ما، فكأننا نقوله لجميع الجزيئات في العالم، وهكذا تعمل معًا، لجعل ما نقوله يحدث فعلا، ويتحوّل إلى حقيقة».

«غير أني أعمى..».

«أعرف ولكن هناك أشياء لو تصورتها في ذهنك، أو تحدثت عنها، فتأكد أنها ستصبح حقيقة. ولهذا السبب عليك ألا تقسم يمينًا كاذبًا، أو تتلفظ بكلمات سلبية. الصور التي في رؤوسنا هي الأقوى... وعبرها نحن نرسم المستقبل ونلّون المستقبل».

وساد الغرفة صمتٌ لبضعة دقائق، تنهد بعدها جوناثان وقال: «هذا هو الشيء الأكثر سخريةً سمعته في حياتي».

«حسنًا.. أنا مقتنعة بما أقول..». قالت لوبي قبل أن تقف وتنظر إليه «إضافة إلى ذلك فأنت لست إنسانًا بشعًا ولا مرعبًا، فلو كنت كذلك، لما كنت أتيت لسماعي وأنا أغني».

وقبل أن يتمكن من الرد، خرجت من الغرفة وأغلقت الباب وراءها.

الفصل العاشر

بعد ظهر اليوم التالي، أوقف وليام السيارة أمام متجر الأقمشة. ساعد جوناثان على النزول.

«سأعود بعد ساعة». قال وليام ورد عليه جوناثان بالموافقة.

لوب تقف إلى جنب جوناثان متأبطةً ذراعه، نظرت إلى الواجهة فاندهشت مما ترى: أثواب قماش معروضة بطريقة تجذب الأنظار وتُوقع الإنسان بحيرة. ألوان تتغير وفقًا للزاوية التي ننظر منها إليها. أقمشة مزخرفة بشتى أنواع وألوان الزهور والورود والعصافير والطيور وحتى السواقي والشجر، مما يجعل المُشاهد يتخيل نفسه وسط حقول ريفية في فصل الربيع. أعادها هذا المشهد إلى أيام طفولتها في ضيعتها المكسيكية، حيث كانت تسرح وتمرح مع رفيقاتها وانسجمت ذكرياتها حتى باتت تسمع تغريد الطيور وزقزقة العصافير وخرير السواقي.

«ها أنا من جديد يا سيد ليو..». قال جوناثان.

أخذ السيد ليو جوناثان بين ذراعيه وعانقه تعبيرًا عن اشتياقه. أجلسه على كرسيٍّ أمام مكتبه وجلس هو على الكرسيّ المقابل.

وأخيرًا ها أنت في المكان الذي طالما كنت تأتي إليه، كانت أيّامٌ يا سيد جوناثان. واستفاضا بالحديث عن الذكريات والماضي حتى اعتقدت لوب أن الزمن توقف عند هذه اللحظة، فلا غدٌ ولا مستقبل، بل حاضرٌ وماضٍ فقط.

إلتفت ليو إلى لوب وقال: «ومن هذه الصبية يا جوناثان؟».

«إنها لوب... صديقتي المقرّبة والمفضلة والتي أخبرتك أنها ترغب بشراء قماش مميزٍ تخيطه فستانًا لمناسبة خاصة ومميزة».

«ولأية مناسبة؟».

«كوانسينيرا..». أجابت لوب.

ضحك السيد ليو «مكسيكيةٌ أنت ، أليس كذلك؟».

«نعم... وما أدراك أني مكسيكية؟».

«أنتم المكسيكيون تأتون إلى أميركا، غير أن عقولكم تبقى هناك في المكسيك، في المدن والقرى التي أتيتم منها، الكوانسينيرا تقليدٌ مكسيكي».

حدّق السيد ليو بها «لا أعتقد أنك بلغت سن ارتداء مثل هذا الثوب؟».

«معك حق، إلا أني أريد تحضير كل شيءٍ مسبقًا».

«حسنًا، سيكون لك ما تريدين».

أدخلها إلى غرفة فيها عشرات أنواع القماش المتعدد الألوان والموضبة بشكل يشبه قوس قزح.

«كوانسينيرا؟» قال السيد ليو. «إنه يوم جدّ مميز بالنسبة للفتاة المكسيكية، لدي هنا كل ما تحتاجين إليه، من جميع الأنواع والنقشات حتى».

«الحقيقة لم يسبق لي أن رأيت أقمشة بهذا الجمال، لست أدري ما أقول».

كانت لوب تحدّق بكل ثوب قماش وتلمسه كما لو أنه من ذهبٍ أو ألماس. كانت تنظر بإعجاب وكان السيد ليو يعدد لها نوعية الأثواب «الشيفون ـ الحرير ـ الساتان ـ التول ـ الأورجانزا ـ التفتا ـ الدانتيل».

كان ليو يعدد أسماء أنواع الأقمشة، ولوب تعتقد أنها تسمع كلمات قصائد عاطفية.

«الحقيقة يا سيد، أحببتها كلها، غيرأني أفضّلُ هذا». ورفعت إصبعها مشيرةً إلى ثوب شيفون أزرق فاتح. «بعض الفتيات يفضلن الألوان الزاهية، غير أني أحب اللون الفاتح، تمامًا كثوب الزفاف».

«سيكون لك ثوب زفاف في يوم من الأيام». قال جوناثان

«لا أدري إن كان سيحصل ذلك». قالت لوب.

«ولماذا لا تدرين؟».

«ولماذا لم تتزوج أنت؟».

«أنا مختلف..».

«ولربما أنا مختلفة أيضًا». قالت لوب.

ضحك جوناثان.

«دعونا الآن نفكر بما هو مطلوبٌ. يمكنك يا لوب وضع الثوب على جسدك وترين إن كان يتناسب مع لون بشرتك ومقاس جسدك».

وضع ليو الثوب على جسد لوب ووقفت أمام جوناثان متوقعةً تعليقًا.

«أنا هنا.».

«أعلم ذلك». صمت للحظات ثم أردف قائلاً: «هناك أوقات أتمنى فيها لو أكون قادرًا على رؤيتك يا لوب».

«وأنا أيضًا أتمنى ذلك أيضًا».

«أرجوك صفي نفسك».

كانت لوب تقف أمام مرآة ثلاثية الأبعاد، تطلعت إلى كل نقطة في جسدها. «أنا بحاجةٍ لمساعدتك. فعلاً أنا بحاجةٍ لمساعدتك».

«لا... لا أعتقد ذلك. أخبريني عن مشاعرك وأحاسيسك. وإن كنت غير متاكدةً من ذلك، يمكنك سؤال السيد ليو».

ابتسم ليو: «في الواقع، إنها تبدو في غاية الجمال وهي ترتدي هذا اللون الذي نسميه السحابة الزرقاء. إنه لون يناسب بشرتها ويكمل جمالها، شخصيًا أُوصي به».

«حسنًا... هل ترغبين بشرائه الآن؟».

«أعتقد ذلك. إنما أرى ضرورة معرفة عما إذا كنت إدخرت ما يكفي من المال».

***

صمتت لفترةٍ من الوقت ثم تابعت تقول: «أعتقد أنه لدي ما يكفي، ولكن هناك أشياء أخرى أنا بحاجة إليها. لذلك أفضّل الإنتظار».

«لا لن تفعلي ذلك... أنا من سيدفع».

«لا أبدًا لا يمكنك ذلك سيد جوناثان».

«ومن ذا الذي يقول لا يمكنني ذلك؟».

«غير أن جدّتي قد..».

«سأشرح لها كل شيءٍ بالتفصيل».

«لا لست أنت من سيفعل. بل أنا».

«لوب سنشتري هذا القماش. ليو أرسله إلى شقتي».

«شكرًا جوناثان.. سأدفع فيما بعد.. أعدك العمل دوامًا إضافيًا».

«أرجوك لا تقولي هذا». قال جوناثان. «إنك تثيرين جنوني».

***

كان جوناثان يستمع إلى نشرة الأخبار المسائية، حين رنّ جرس الهاتف.

«نعم..».

وبعد فترة صمت «جوناثان؟ ؟ ؟ إبني جوناثان؟ ؟ ؟».

إسترخى جوناثان على كرسيه، وانتباه شعورٌ غريب.

«أما تزال تسمعني؟ ؟ ؟». قال المتكلّم.

وبعد فترة صمت قال جوناثان «أبي... ؟ أبعد كل ذلك الوقت تكلّمني؟ إنيً لا أصدق أبدًا. إنه أسبوع العائلة».

«حسنًا يا ولدي... أخبرتني والدتك عن زيارتها لك. أعتذر يا ولدي. والدتك كانت تنكر معرفتها عنوانك أو رقم هاتفك، لذلك لم يكن بمقدوري التكلم معك».

«ماذا؟ أبدًا هذا ليس صحيحًا».

«كان عليّ أن أتحرّى عن الأمر، دون تصديقها».

تنهّد جوناثان، ثم صمتَ مرةً أخرى. شعر وكأنه عاجزٌ عن

إيجاد الكلمة المناسبة لمخاطبة والده. «كيف حالك يا والدي؟ أخبرتني والدتي أنك ما زلت تعاني من مشاكل في القلب».

«أنا الآن في الخامسة والثمانين من العمر يا جوناثان، ولهذا السبب أتصل بك، أردت إستغلال ما تبقّى لي من أيام لأسمع صوتك».

«كان هناك مجالٌ للتحدث عن أمورٍ كثيرة، إنما... فكما تعلم، اليوم أنا أعمى، وأعيش وحيدًا إلى حدٍّ ما. لا أستطيع الرسم أو القيام بأعمالٍ كثيرةٍ، هذه هي حالتي في هذه الأيام».

بعد فترة صمت قال والده: «أعرف ماذا تقصد، والحقيقة أني عاجزٌ عن فعلِ شي، الذبحة القلبية تعاودني من حينٍ إلى آخر. إضافة إلى أن والدتك تُبقيني في حالة توتر». أخذ نفسًا عميقًا ثم تابع: «سمعت أنك تسكن في إحدى ضواحي سان فرانسيسكو».

«نعم، أسكن في إحدى ضواحي سان فرانسيسكو، والأغلب الأعمّ من جيراني هم من أصولٍ أسبانية، وهم بالفعل أناسٌ لطفاء».

«لم يسبق لي أن عرفت تلك المنطقة، غير أن أمك قلقة من ذلك. ولهذا السبب زارتك للإطمئنان عليك».

«هل هناك شيءٌ ما أو خاصٌّ تريد قوله؟».

«أعتقد أني إتصلت بك لأقول: إنني جدّ آسف، فلم أكن

الأب الصالح. كنتَ مختلفًا عن غيرك، و لم تتمكن والدتك من تفهّم وضعك والتعامل معك على هذا الأساس، أما أنا فلعبت دور المتفرج، تاركًا لها أخذ زمام المبادرة. أمضيت سنوات وأنا أستمع إلى ما تقول دون أن أعارضها ولو لمرةٍ واحدة. والآن... وقد قاربت حياتي على الإنتهاء، رأيتُ أن من واجبي أن أمدّ لك يد المساعدة، خاصة بعدما فقدت نظرك. هناك شيءٌ وحيد يمكنني تحقيقه في وصيتي. أريدك أن تعرف، أنه بعد رحيلي، سيكون لك مبلغ محترمٌ يساعدك على العيش بكرامة».

«أبي... لا أريد شيئًا».

«هذا ما أريده... إنه أمرٌ لا جدال فيه».

«حقًّا؟ عليّ أنا أن أعطيك المال، فأنا أجني الكثير منه».

«لا جدالَ يا جوناثان. والدتك لا تعرف شيئًا عن الأمر، ولا أريدها أن تعرف. أمضيت أربعين سنة أعمل في وظيفة أكرهها، والآن سأفعل ما أريد».

ومرةً أخرى ساد صمتٌ ثقيل.

«أتحب أن نلتقي، في أي وقت تشاء». قال جوناثان.

«لا أعتقد أني قادرٌ على ذلك». أجاب والده بهدوء. «سيكون ذلك صعبًا عليّ، فقلبي كما أخبرتك».

«أعرف كم ذلك صعبٌ عليك... إني أقدّر ظروفك».

أخذ كل منهما نفسًا عميقًا.

«شكرًا أبي، فعلاً شكرًا يا أبي».

وفجأةً إنقطع الإتصال. بقي جوناثان ممسكًا بالسماعة للحظات قبل أن يعيدها إلى مكانها.

***

في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، كانت لوب تركب دراجتها قاصدةً محلّ البقالة. فجأة توقفت. لفتت نظرها لافتة معلقة على واجهة منزل بري الفيكتوري الطراز «المنزل للبيع». وقفت لوب مشدوهة، والدة بري تطل من خلف الستائر ثم تعود وتختفي.

في طريق العودة، وجدت لوب نفسها وسط موكب جنائزي، كان الوضع صعبًا، لم تستطع إكمال مسيرتها. نزلت عن دراجتها وراحت تسير على قدميها وظلت كذلك حتى تحول موكب الجنازة نحو اليمين باتجاه المقابر. عندها ركبت دراجتها مرة أخرى وتابعت طريقها نحو المنزل.

في اليوم التالي، كان جوناثان مستلقيًا على الأريكة يستمع إلى نشرة الأخبار، و لوب توّضب الخضار والفاكهة.

«سيد جوناثان ، هل قصدت يومًا المقبرة حيث دُفن صديقك؟».

«وما أدراك أن صديقي قد دُفن، أوليس من الممكن أن يكون قد تم إحراق جثته؟».

«الحقيقة... لا أعرف. غيرأني أتساءل».

«حسنًا... الجواب لا..».

«لا... ماذا تعني بهذه اللا؟».

« لم أذهب إلى المقبرة أبدًا. لا أستطيع أن أرى، أم أنك لا تعرفين هذا؟ ومن ثم فمن المؤلم جدًّا الذهاب إلى هناك بعد فقدانه. أعتقد أنه قد فات الآوان».

«وماذا لو أخذتك إلى هناك؟».

«ماذا؟ وهل ستأخذينني على دراجتك الهوائية؟».

«لا... بل في حافلة النقل العام، ويمكنني الذهاب معك».

غرق جوناثان في صمتٍ عميقٍ. «هل إشتريت المزيد من البسكويت؟».

«نعم... وبالسعر المخفّض أيضًا».

بدا الحزن على وجه جوناثان. «سأفكّر في الأمر. أعدك بذلك».

الفصل الحادي عشر

كانت لوب في بهو حمام الفتيات، حين سمعت بعضًا من حديثٍ فاجأها بين فتاتين كانت تغسلان يديهما.

«سمعت أمي تقول، إن والد بري قد طُرِدَ من عمله بسبب قيامه باعمالٍ غير مشروعة، ولكن لا أعرفُ ماهية هذه الأعمال. كل ما أعرفها أنها مشينة للغاية وفقًا لما سمعته من أمي».

«لهذا السبب إذن يعرضون منزلهم للبيع».

«نعم... وسمعت أن عليهم الإنتقال إلى شقة، أيمكنك تخيّل ذلك؟ إنه أمر محرج».

بعد إنتهاء الفتاتين من غسل يديهما، دخلت بري إلى الغرفة.

«مرحبًا» قالت بري، إلا أن الفتاتين مضتا في طريقهما متجاهلتين تحيتها.

نظرت لوب إليها نظرة شفقةٍ واحترامٍ في آن وخرجت.

***

نزلت لوب من الحافلة، وراحت تنتظر جوناثان للإمساك بيده ومساعدته في النزول هو الآخر

كان جوناثان يرتدي بذّة من قماش الكتان الباهت اللون ويضع على رأسه قبّعةً أنيقةً ونظّارة شمسية سوداء على عينيه ، أما لوب فكانت ترتدي ذات الثوب الذي ارتدته يوم مشاركتها في حفل جوقة المدرسة. معًا كانا يعبران الشوارع الضيقة، واحدًا تلو الآخر، حتى وصلا إلى سور على بابه مكتوب «مدافن وودن لون».

عبرا تحت قنطرة حجرية. نظرت لوب إلى خريطة سيئة الخطوط.

جوناثان لم ينطق بأية كلمة، كان ممسكًا بذراع لوب ويسير بصمت إلى جانبها، يعبران ممرًا تلو الآخر ولوب تقرأ ما هو مكتوب على الشواهد الرخامية.

بلعت لوب ريقها. لم يسبق لها أن عرفت مقبرة بهذا الإتساع، إنتابها شعور غريب، وراحت تتساءل، عن هذه الشواهد. كل واحد منها يحكي حكاية إنسانٍ جاء إلى هذه الحياة ومن ثم عاد ورحلَ عنها.

«هناك مدافن لا تحصى، أكثر مما يمكن للعين رؤيته». قالت لوب.

«أخبريني عن البعض منها». قال جوناثان.

«هناك الكثير من الشواهد وكل واحدٍ يحمل إسمًا». قالت لوب.

«حسنًا... إقرئي ما هو مكتوب ولو على واحد منها فقط».

«الأخ والزوج الحبيب مارفن [1925 ـ 1995] يرقد هنا بسلام».

«تعبيرٌ أقلّ من عاديّ».

«نحن نحبك يا أمّنا داني 1909 – 1999».

«هذه عاشت حياةً طويلة. هذا إن أردت سماع رأيي».

«هذا هو القسم الذي نبحث عنه. فيه إبداع وخيال، والكثير من تماثيل الملائكة».

«لست متفاجئًا من ذلك».

جنبًا إلى جنبٍ كانا يسيران، لا أصوات بشرية، فقط أصوات جزّازات العشب والطيور، ، ورائحة باقات الزهور المتناثرة على قبر حديثٍ العهد، تجنبت لوب المرور من قربه.

سرعان ما وجدا نفسيها محاطين بتماثيل للملائكة والنساء النائحات. تسمّرت لوب مكانها مشدوهة مما ترى. ها هو مدفن جورجي وقربه نصبٌ آخر عليه تاريخ ولادة دون تاريخ وفاة:

جوناثان لانغلي، 1956....

بصوت خافت قالت «ها هو هنا..».

«أين؟ ؟ ؟».

«أمامنا مباشرة».

تقدم نحو القبر ومد يده وراح يمررها فوق حجر القبر: امرأةٌ باكية، شعرها يغطّي وجهها، وهي تنتحب بشدة. تفحّص الحجر بأنامل يده.

«يبدو كما أردته...».

«وهل أنت من اختار ذلك؟».

«نعم أنا من فعل ذلك، وأشرفت على بداية العمل، إنما لم أتمكن من رؤيته بعد الإنتهاء منه».

توقف عن التكلم للحظات ثم تابع يقول: «أيمكنك قراءة بعض الأسماء الأخرى؟».

أجالت لوب بعينيها: «حسنًا، آرثر هيل- لي جونز - برادلي فوستر - لاري جونز - بيتر سيمون».

أحنى جوناثان رأسه «أصدقائي، كلهم هنا يرقدون معًا... لم أكن أعلم ذلك».

غرقت لوب في صمتٍ رهيب.

«هل يمكنك تركي وحيدًا لبعض الوقت؟ تنزهي قليلاً ثم عودي». قال جوناثان.

مكتبة
t.me/t_pdf

«وهل ستكون بخير؟».

«بالطبع سأكون بخير، يمكنني الجلوس على أيّ مقعدٍ هنا».

«هذا مقعدٌ هنا». قادته لوب إلى المقعد الحجريّ وأجلسته بمواجهة نصب صديقه جورجي.

راحت لوب تمشي ببطء، ثم جلست لفترة من الوقت تحت شجرة وأغمضت عينيها. وبدأت تدندن بالإسبانية. تقدم منها أحد الحراس وراح ينظر إليها بشكلٍ مريب.

نزل عن جزازة الأعشاب «هل أنت بخيرٍ يا ابنتي؟».

فتحت لوب عينيها. «نعم... نعم أنا بخير».

مضى هو في طريقه وعادت هي وأغمضت عينيها.

وعندما فتحتهما مجددًا، نظرت إلى ساعتها ثم وقفت واتجهت إلى حيث تركت جوناثان.

وجدته قد نزع النظارة الشمسية عن عينيه وكذلك القبعة عن رأسه ويتكيء على يمناه.

حتى لحظة إقترابها منه، كانت تعتقد أنه يتحدّث إلى النصب التذكاري.

«سيد جوناثان..».

رفع رأسه نحوها. إنها المرة الأولى التي ترى فيها عينيه عن كثب. عينان بيضاوان.»أما قلت لك أتركيني لوحدي؟».

«الحافلة التالية تمر من هنا بعد نحوٍ من عشرين دقيقة. ولن تكون هناك حافلة أخرى قبل ساعة».

«حسنًا». قال جوناثان بفضاضة. «أرجوك ساعديني». قال والإنزعاج بادٍ على وجهه.

« لم أقصد إزعاجك سيد جوناثان».

«أنت تفعلين ذلك دائمًا... هذا أفضل ما لديك، منذ قابلتك هذا كل ما تقومين به».

***

في فصل التربية البدنية، كان هناك مجموعة من الفتيات، بما فيهن لوب، يقفن خارج القاعة يرتدين ملابسهن الرياضية

معلمة دروس التربية البدنية، امرأة في منتصف العمر، متعجرفة نوعًا ما ، قررت أن تقسم الفتيات إلى فريقين.

«حسنًا يا فتيات، أنا أعرف أن لعبة كرة القدم، ليست باللعبة السهلة، ولكن دعونا نجرّب».

تذمرت الفتيات.

«آليسا، أنت رئيسة فريق. وكذلك أنت يا لوب. عليكما

إختيار أحد عشر لاعبًا لكل فريق. حسنًا، اختارا أول خمسة الآن».

آليسا واحدة من الفتيات الأكثر شعبية في المدرسة. أجالت بعينيها ثم نادت «هيذر ـ آشلي ـ لورا ـ جيني ـ تانيا».

بدا أنها تعمّدت تجاهل بري التي بدا عليها عدم الإرتياح مما فعلته آليسا.

وحين جاء دور لوب، تطلعت حولها ثم نادت: «بري ـ ليلي ـ ساندرا ـ ليزا ـ وكارين».

بدا الإرتياح على وجه بري ولم تعد تشعر بالحرج، وأسرعت ووقفت إلى جانب لوب.

ما إن بدأت اللعبة، حتى بدا أن لوب وحدها بين فريقها ما تزال تتذكر قواعد اللعبة. بينما الأخريات كن مرتبكات حائرات. سجلت لوب هدفًا وساعدت لوب على تسجيل هدف آخر بعد أن كادت أن تتعثر. فتيات الفريق الآخر كنّ مرتبكات على مقدار من سوء التنظيم، حتى أن إحداهنّ سقطت أرضًا، واصطدمت واحدة بلاعبة أخرى. واصلت لوب تسجيل الأهداف في شباك خصومها، وفي كثير من الأحيان كانت تمرر الكرة لبري.

«هيّا يا لوب... لقد انتصرنا». قالت إحدى الفتيات بصوت خافت.

كانت لوب تسجّل الأهداف والفريق ينفجر بالهتافات

أطلقت المعلمة العنان لصفّارتها معلنة إنتهاء وقت اللعبة. «لوب... تلعبين كمحترفة».

تحلّق فريق لوب جولها.

بري بإعجاب «كنت رائعة يا لوب، كيف أمكنك ذلك؟».

كانت لوب تلهث غير قادرة على التنفس، كان من الواضح أنها بذلت جهدًا «كثيرًا ما كنّا نلعبها في المكسيك».

***

بعد ظهر اليوم التالي، كانت جميع أجهزة الكومبيوتر مشغولة في المكتبة وبري واحدٌ من هؤلاء.

ولكن الحال تغيّر هذه المرة، فما أن رأت بري لوب تدخل. حتى أخذت تجمع أوراقها.

«لقد إنتهيت يمكنك الجلوس مكاني». قالت بري.

تمكنت لوب من معرفة أن بري كانت تستعمل واحدًا من مواقع التواصل الإجتماعي، مليءٍ بالصور والحوارات.

«هل تريدين أن أُبقيه على الفيسبوك؟». بري سألت لوب.

«لا.. : لست من الذين يتواصلون على مثل هذه المواقع، ولا أعرف ما يكفي من الناس».

وقفت بري وحملت كتبها، إستعدادًا للرحيل.

«عليك بالتجربة، فقد تتعرفين إلى أحد الأشخاص، ومن يدري فقد تصبحان أصدقاء؟».

حاولت لوب إخفاء صدمتها من تغيّر لهجة بري. «حسنًا، لربما سأفعل ذلك لاحقًا».

خرجت بري وجلست لوب مكانها وبدأت بإتمام واجباتها المدرسية.

عندما عادت لوب مساءً إلى المنزل، قصدت المطبخ مباشرةً، حيث كانت جدتها تطهو الأرز.

«جدتي.. أعذريني، ولكن هل لدينا من المال ما يمكنني من شراء حاسوب محمول قريبًا؟».

إلتفتت الجدة وعلامات الإستياء باديةٌ على وجهها «تعلمين أننا لا نملك المال إلا ما يكاد يكفي لشراء الطعام».

«لست أدري لماذا كنت أتخيل أن لدينا المزيد من المال. ولكن ليس همًّا».

«حسنًا» قالت الجدة. : «تخيّلي قدر ما شئتِ. ولكن إسألي السيد جوناثان فقد يسمح لك باستعمال حاسوبه الخاص».

***

قرعت لوب جرس باب الشقة، وسمحت لنفسها بالدخول مباشرة.

«سيد جوناثان.. هل يمكنني إستخدام حاسوبك الخاص لبضعة دقائق؟».

«على الرحب والسعة».

جلست لوب على كرسيّ المكتب أمام شاشة العرض الكبيرة.

«أرجوك شغّلي المكبر الصوتي، هكذا أتمكن من سماع أحاديثك».

«ليس همًّا.. فأنا لن أتكلم كلامًا بذيئًا».

طبعت بضعة كلمات. وما هي لحظات حتى سمع جوناثان صوتًا يقول: «أهلاً بكم على الفيسبوك».

«إنه موقع الأغبياء». قال جوناثان «أنا لا أثق به».

«فقط لدقيقة أو إثنتين».

ساد صمت ثم كان هناك كلامٌ «بري هارتلاند تطلب صداقتك».

«بيكا زولينسكي تطلب صداقتك».

«داني ميلر داني ميلر تطلب صداقتك».

«ما هذا؟». خاطبت لوب نفسها همسًا. ووافقت على جميع طلبات الصداقة. إنهم زميلاتها في المدرسة.

«هل سمعت اسم بري هارلاند تطلب صداقتك؟». تساءل جوناثان.

«نعم..». قالت لوبي «نعم إنها بري هارتلاند».

الفصل الثاني عشر

في اليوم التالي، كان جوناثان مسترخيًا على الأريكة يستمع إلى الراديو، وغارقا في أفكاره، فيما لوب كانت تعمل في المطبخ.

«سيد جوناثان.. نسيت أن أقول لك، لا أستطيع الحضور غدًا، فلدي الإختبارات الطبية».

أخفض صوت الراديو. «حسنًا يمكنك ذلك، فأنا لست بحاجةٍ إليك غدًا».

عاد للإصغاء إلى الراديو، فإذ بورقة تتطير فوق وجهه.

«ما هذا؟». نهض ولمس الحائط بيديه، فإذ به مغطىً هو الآخر بالأوراق. «لماذا وجود كل هذه الأوراق هنا وعلى الحائط؟».

جاءت لوب ووقفت قبالته «إنه مجرد فعلٍ إضافيٍّ قمت به».

«وما الذي يُفترض أن يعنيه هذا؟».

«حسنًا... أعلم أنك لا تملك صورًا جديدة في مخيلتك، ولا ترغب بقول أشياء إيجابية عن نفسك، لذلك فعلت أنا. وضعتها هنا وهناك، في المكانً حيث تجلس وترتاح. وهناك المزيد على مرآة الحمام».

«يا إلهي..». قال جوناثان بصوتٍ عالٍ تعبيرًا عن إنزعاجه. «وماذا تعني هذه التصرفات الغبية؟».

«تقول أشياء مختلفة لم تسمعها من قبل. فقط الأشياء الحسنة هي بانتظاري، سأستعيد نظري. سأبني مستقبلي من جديد. وأشياء من مثل هذا القبيل. ومعظم الناس يقولون: ستعاود رسم الكثير من اللوحات الجميلة».

«لوب... أنا لن أستعيد نظري كما تتوهمين. وهذه المعلقات لن تجديك نفعًا».

«لا تقلْ ذلك، فسوف تسمعك الجزيئات والآلهة».

ازداد غضب جوناثان «أنا لا أؤمن بآلهتك وجزئياتك، لقد مللت من سماع مثل هذه التعابير طيلة الوقت. فالأشياء السيئة تحدث، وقد حدثت لي. وكل الأفكار الإيجابية والتمنيات لم تتمكن من فعل شيءٍ حيال ما حدث».

«عليك الإيمان بوجود الشمس، إن أشرقت عليك أو لم تشرق، فهي موجودة».

انفجر جوناثان غضبًا: «وأنت بدورك، ليس عليك تصديق وجود أمراض، إلا بعد أن تأتي تلك الأمراض وتنتزع منك كل شخص تحبينه. فما فعلت جزيئاتك ومعتقداتك من أجلهم؟ هل أوقفت القضاء عليهم واحدًا بعد الآخر؟».

بدا الإستياء واضحًا على وجه لوب، وساد صمتٌ طويلٌ، كسره جوناثان بقوله «أنا آسف يا لوب. ما قلته، كان شيئًا فظيعًا لا يجدر بي قوله».

وعاد الصمت ليخيّم من جديد.

«قلت لك، أنا آسفٌ، جدُّ آسف».

من جديد عاد الصمت وخيّم.

مد جوناثان يده، بحثًا عن لوب التي خرجت بهدوءٍ وصمتٍ دون أن تغلق الباب خلفها.

***

بعد ظهر اليوم التالي، سمع جوناثان ضجة خارج شقته. فتح الباب فإذ بجدة لوب تهرع بالخروج من منزلهما ثم تعود إليه وتخرج من جديد في حركاتٍ هستيرية.

«سأصل إليك بأسرع ما يمكنني يا حبيبتي». قالت الجدة

وهي تهبط الدرج مسرعةً، حتى أنها تجاهلت وجود جوناثان.

أثناء نزولها على الدرج، اصطدمت بجارتها السيدة راميريز وراحتا تتحدثان باللغة الأسبانية.

«يا إلهي ما بها السيدة سالدانا؟». خاطب جوناثان نفسه، ثم اتجه نحو باب الشقة وراح يقرع الجرس ويقول «لوب... لوب هذا أنا».

صعدت السيدة راميريز «لقد أُستدعيت من المستشفى».

جاءت نبرة صوتها معبرةً عن مدى تأثرها.

أحنت السيدة راميريز رأسها. «مسكينة جوانا.. إنها تمضي معظم وقتها في المستشفى».

«ما الذي يجرى لزوجها؟». تساءل جوناثان.

نظرت السيدة راميريز إلى السيد جوناثان نظرة استغراب. «لا... ليس هو... بل هي لوب. ألا تعلم؟ إنها مصابة بالسرطان وقد تموت».

«لوب؟ ؟ ؟ عن من تتحدثين؟».

فجأة فتح السيد سالدانا الباب ووقف متكئًا على عكازه.

«أين لوب؟». سأل جوناثان.

«إنها في المستشفى». قال السيد راوول.

«لا تقلْ إنها مريضة».

«بلى إنها مريضة بالسرطان».

هزّ جوناثان رأسه تعبيرًا عن عدم تصديقه ما يسمع. «ولكن كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ كيف يمكن للوب أن تكون مريضةً؟ إنها عنوان الفرح، ترقص دائمًا وتغنّي دائمًا وتضحك دائمًا».

«لأنها كانت مؤمنة بفعل الخير، وتفكر بالكوانسينيرا وتسعى جاهدةً لمساعدتك».

«وما الذي قاله الأطباء؟». قال جوناثان.

«أحدهم قال لها، ستكون محظوظةً إن عاشت حتى الرابعة عشر من العمر، لكنها لم تصدّق، وقالت لديها قناعةٌ أنها ستحيا لتصبح سيدة محترمة».

«ولكن لماذا هي الآن في المستشفى؟».

«لإجراء بعض الفحوصات المخبرية، ألم تقلْ لك؟».

«ربما، إنما لم أنتبه لما كانت تقول».

«لرؤية مدى تطور مرض السرطان. ويقولون إنها إختبارات مؤلمة».

كلامٌ وقع على رأس جوناثان وقع الصاعقة. «هل هناك أيّ شيءٍ يمكنني فعله؟ أيّ شيءٍ؟».

«الإيمان والصلاة فقط سيد جوناثان. هذا ما كانت ترددده لوب دائمًا. الإيمان والصلاة».

في إحدى غرف المستشفى، لوب تلبس ثوبًا فضفاضًا، تنام على جانبها الأيمن على السرير وخلفها الطبيب وبيده حقنة.

«حسنًا يا لوب». قال الطبيب «إنه اختبار النخاع الشوكي الذي أخبرتك عنه، قد يؤلم، إنما لثوانٍ فقط. فهل أنت مستعدة؟».

«نعم..». قالت لوب بصوتٍ معبّرٍ عن شجاعتها، غير أن الخوف كان باديًا على وجهها، وحين أدخل الطبيب الحقنة تمسكت بحافة السرير..

وبهدوءٍ راحت تردد: «أنا طفلٌ محبوبٌ من الكون، والكون يحبني، إنه يهتم بيَ الآن وإلى الأبد» توقفت لحظة ثم تابعت: «أنا جميلة الجميلات... أنا جميلة الجميلات».

***

بشكلٍ غير منظم وضع الخضار والفاكهة جوناثان في المطبخ، والإنزعاج بادٍ على وجهه، وسرعان ما تحوّلت نظرته إلى نظرة غضب. بدأ يغلق مصاريع خزائن المطبخ بعنف وشدّة، فاهتز أحد الرفوف وسقط أرضًا. وكذلك وقع إناء السكر وتحطم على أرضية المطبخ.

«اللعنة». قال وهو ينحنى ليعرف ما الذي جرى.

كان على وشك أن يقول أكثر، لكنه لم يفعل. بصوتٍ خافتٍ أخذ يغني مقاطع من أغنية لوب. أحس أن جسده يتهاوى وينهار حزنًا وألمًا.

على الأرض كانت يداه تلمس حبيبات السكر. فجأة أحسّ بالإسترخاء الجسدي، يداه كانت تعملان بشكلٍ عفوي وتلقائي.

سمع وقع أقدام عند الباب.

«من هناك؟».

«أنا السيد ألف، هل أنت بخير يا سيد جوناثان؟».

«هل تتقدم نحوي من فضلك؟».

بدا القلق واضحًا على وجه المالك، خاصة عند رؤيته لجوناثان وهو راكعٌ على الأرض.

«أمتأكدٌ أنك بخير يا سيد جوناثان؟».

«أيمكنك إسداء خدمةٍ لي؟».

تقدم المالك. «أنت تلملم السكر، فسأساعدك».

«لا... لا أريد ذلك، أريدك أن تلقي نظرةً مجرد إلقاء نظرة. هل يبدو وكأنه يشبه شيئًا ما؟».

تراجع المالك إلى الوراء، ونظر إلى السكّر المنثور على الأرض. «يبدو وكأنه وجه فتاة». تردد عن قول المزيد وهو

ينظر إلى وجه جوناثان متعجبًا. «يبدو وكأنه وجه لوب... إنه لأمرٌ غريبٌ ومستهجن».

أحنى جوناثان رأسه. «شكرًا لك سيدي».

***

ما إن غادر صاحب الملك، حتى أمسك جوناثان بسماعة الهاتف.

«أريد كيس رملٍ سعة عشرة أرطالٍ. أرسله فورًا، سأدفع مهما كان الثمن. لا يهمني ذلك».

وقف على رجليه وتوجه نحو غرفة النوم، حيث بدأ يتناول أنابيب الألوان وقماش الرسم والفراشي من الخزانة.

وصل رجل التسليم، فرأى جوناثان في حالة إهتياج.

«لا تتفوه بأية كلمة. أنا أعمى، لديّ الكثير من المال. تعالَ أُدخلْ».

كان رجل التسليم يحمل كيس الرمل وينظر حوله مستغربًا ما يرى. جوناثان كان قدٍ وضع قماش الرسم على الأرض، ورتب عدة أوعية على خطٍ مستقيم.

كان في حالة جنون. طلب من رجل التسليم مساعدته في خلط الألوان مع الرمل.

«يجب أن تكون مرتبة واحدًا بعد الآخر، بحيث أستطيع

تذكّر مكان كل واحدٍ، أريدك أن تضع اللون الأحمر في الوعاء الأول».

عملا لما يقارب الساعة في مزج الألوان بالرمل في كل وعاء. بعد الإنتهاء من وضع كمياة مختلفة من الرمل الممزوج بالألوان في كل وعاء، قال جوناثان مخاطبًا رجل التسليم. «هناك على خزانة الملابس أربعون دولارًا، خذها. وشكرًا».

وضع جوناثان بعضًا من المزيج على قماش الرسم، مستعينًا بسكينٍ قام ببسط الألوان. مستخدمًا يده الآخرى ليتعرف إلى أين وصل المزيج.

بعد ساعة من العمل، إنتهى جوناثان مما كان يقوم به. رفع القماش وتراجع بضعة خطوات إلى الوراء، هو يدري أنه لا يستطيع رؤية ما رسم، لكنه كان يشعر بالإرتياح النفسي والجسدي.

كان يأمل، أن يكون رسم لوب وهي ترتدي فستان الكوانسينيرا.

الخاتمة

في يوم خريفيّ بعد ثلاث سنوات، كان جوناثان يشارك في احتفالٍ كبير ويجلس إلى طاولة فوقها ترتفع لافتة مكتوب عليها «تهانينا يا لوب بلوغك الخامسة عشر من العمر، تهانينا الكوانسينيرا».

إحدى الفرق تعزف الموسيقى الإحتفالية، والجميع يرقصون.

على إحدى الطاولات كانت تجلس بري وزميلات لوب في المدرسة، وإلى أخرى أفراد العائلة، بمن فيهم أبواها اللذين عادا مؤخرًا من المكسيك، بمساعدة جوناثان الذي تدبّر لهما عملاً في إحدى المؤسسات المحلية. وإلى طاولة ثالثة كان الجيران سكان البناية، أما الرابعة فكانت مخصصة للأطباء والممرضين والممرضات.

بعد إنتهاء الفرقة الموسيقية من العزف، أمسك جدها بمكبر الصوت وراح يتحدث بالإسبانية وزوجته تترجم ما يقول.

«لم يعتقد أحدٌ أن حبيبتا لوب ستحتفل بهذا اليوم العظيم، لكننا كنا نؤمن، والأكثر أهميةً هو أن لوب هي التي آمنت، هي التي علمتنا كيف نعيش حياة الأمل والإيمان وبمعنويات كبيرة. هي ملاكنا على الأرض. جميعنا نحبها، ونشكر الله على وجودها بيننا، نشكر الله لأنها البركة في حياتنا».

صفّق الجميع، لكن تصفيق جوناثان كان عاليًا جدًّا وأطول من تصفيق الآخرين.

لوب الآن هي في الخامسة عشر من عمرها، ها هي تقف مرتدية فستانًا من الشيفون المزخرف، تبدو كأميرة، شعرها ملفوف جدائلَ حول رأسها، خلال السنوات الماضية ازداد طولها بحدود الثلاثين سنتيمترًا وصارت أكثر جمالاً وهدوءًا، كانت تضع يدها على قلبها شاكرة الجميع على عاطفتهم، فيما التصفيق يتواصل.

توجهت نحو جديها، غمرتهما بحب وعانقت كل واحد منهما، ثم توجهت نحو والديها اللذين كانا يتألقان بفخرٍ وفرحٍ لا يوصف. ومن ثم توجهت إلى حيث يجلس جوناثان والعديد من المدعوين، مثل: ليو تاجر الأقمشة، وليام سائق سيارة الأجرة، كارلا شقيقة جوناثان وابنها رودني والسيد أنتونوتشي صاحب الملك وحتى رجل التوصيل.

كان شعر جوناثان قد ازداد بياضًا، وكذلك التجاعيد على وجهه، إنما كانت هناك تعابير أخرى تدل على مدى راحة البال والسلام الداخلي. وبدا متفاجئًا من إقدام لوب على

وضع يديها على كتفيه تعبيرًا عن الإمتنان والتقدير..

مدّ يده وأمسك بيدها، «هل يمكنني الحصول منك على هذه الرقصة من فضلك؟».

أمسكته من يده واتجها نحو حلبة الرقص. كانت الموسيقى ناعمة وبطيئة.

لوب أحاطت خصر جوناثان بيديها وكانا يتحركان ببطءٍ وسهولة، كما لو أنهما يفعلان ذلك منذ زمنٍ بعيد.

همس جوناثان بضعة كلمات في أذن لوب، فابتسمت.

قالت «أنت مرحبٌ بك دائمًا».

وعند الإنتهاء من العزف، رفع جوناثان يده في الهواء وكأنه يجسّد رقصة الفاغابوندا.

عن المؤلفين

مكتبة
t.me/t_pdf

لويز هاي هي أستاذة الميتافيزيقيا ومحاضرة جامعية تحولت إلى مصدر إلهام للملايين من البشر، خاصة بعد صدور كتابها «يمكنك شفاء حياتك» عام 1984، والذي باع نحوًا من أربعين مليون نسخة في جميع أنحاء العالم. تشتهر لويز بقدرتها على إظهار التأكيدات لإحداث التغيرات الإيجابية. لويز هاي، هي مؤلفة لأكثر من ثلاثين كتابًا للبالغين والأطفال، بما في ذلك الكتابان الأكثر مبيعًا «القوة في في داخلك، واشف جسدك». كتابها «الحياة تحبك» الذي كتبته بمشاركة روبيرت هولدن، تطرق إلى استكساف المعنى الأعمق، والتطبيقات التأكيدية الإيجابية، بالإضافة إلى كتبها، فقد أنتجت عدة برامج على الشرائط الدمجة، وبرامج عبر الأنترنيت للتعريف بأهمية الصحة، ونشر الفرح والسعادة.

لين لوبير مؤلفة روايات خيال رائعة، أصدرت منفردةً ثلاثة كتب وتعاونت مع العديد من المؤلفين الآخرين لإصدار العديد من الروايات. كتبت الكثير من المقالات في النيويورك تايمز

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

الفهرست

الفصل الأول.....5
الفصل الثاني.....15
الفصل الثالث.....25
الفصل الرابع.....33
الفصل الخامس.....43
الفصل السادس.....55
الفصل السابع.....71
الفصل الثامن.....81
الفصل التاسع.....93
الفصل العاشر.....109

الفصل الحادي عشر..... 119

الفصل الثاني عشر..... 131

الخاتمة..... 141

عن المؤلفين..... 145

تلوين المستقبل

اتخذت حياة جوناثان اتجاهًا تشاؤميًا خطيرًا. بعد فقده بصره بسبب مرض نادر. كان رسامًا ناجحًا ومشهورًا، وها هو اليوم يعيش في ظلام دامس، وحيدًا ونادرًا ما يغادر شقته، غاضبًا على العالم.

بعد التقائه بجارته الفتاة الصغيرة المتفائلة دائمًا والتي لا تقدر بثمن. البالغة من العمر أحد عشر عامًا، التي كانت تعمل لديه بشكل شبه يومي في تنظيف وترتيب منزله. كانا يتعارضان ويختلفان كثيرًا! ونشأت بينهما علاقة صداقة يصعب مدى تأثيرها عليه، حضورها الحيوي، كسر التصلب في حياته، وكشف عن نفسية رجلٍ لطيف حطمته المأساة.

أدخلته لوب إلى عالم جديد، كشف له عن أهمية المودة والحنان والحب.

لويز هاي، مؤلفة الكتاب الأكثر مبيعاً في العالم (اشف جسدك) ومحاضرةٌ في علم الماورائيات ومدرّسةٌ بيع أكثر من 50 مليون نسخة من كتابها حول العالم.

ساعدت الناس، لأكثر من ثلاثين عاماً، على اكتشاف إمكاناتهم الكاملة وتطبيقها من أجل النمو الشخصي والشفاء الذاتي.

الموقع الإلكتروني: www.louisehay.com

لين لوبير مؤلفة روايات خيال رائعة. أصدرت منفردةً ثلاثة كتب وتعاونت مع العديد من المؤلفين الآخرين لإصدار العديد من الروايات. كتبت الكثير من المقالات في النيويورك تايمز.

ISBN: 978-9953-65-004-3
9 789953 650043
دار الخيال
www.daralkhayal.com

t.me/t_pdf